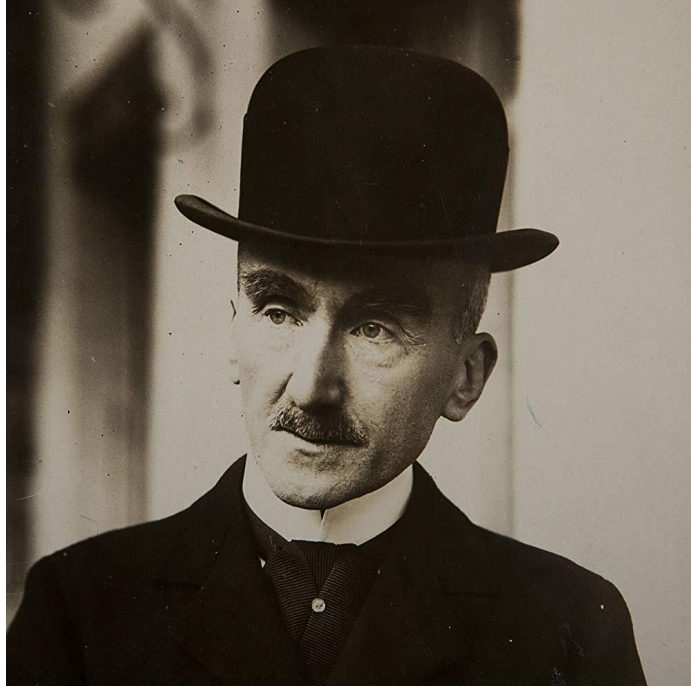


برجسون
جدلية الزمان والأخلاق
بين النسبية والإطلاق
دراسة نقدية في تأويل الزمان

أ. د. سناء عبد الحميد خضر
أستاذة فلسفة القيم بقسم الفلسفة المساعد
كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي (قنا)



"إن نشاط الشعوب الروحي، مثل نشاط الأفراد الروحي، لا يدوم إلا
بواسطة مثال أعلى تشبث به تلك الشعوب حينما تشعر بانحطاط
شجاعتها"

هنري برجسون

المقدمة

- إن مشكلة الزمان مشكلة فلسفية بامتياز وشائكة بامتياز أيضاً، ولذلك فهي لا تُعالج إلا في ضوء قضايا الوجود والإنسان والأخلاق والمعرفة والدين، وفي إطار مذهب متكامل ورؤية إبداعية جديدة وتأويلية خالصة .. من هنا كانت معالجتنا لهذا الموضوع.
- برجسون: جدلية الزمان والأخلاق بين النسبية والإطلاق (دراسة نقدية في تأويل الزمان).
- **والسؤال: هل يمكن أن نكون أوفياء للتعالم البرجسونية؟**
- لا لا يمكن أن نكون أوفياء، لأننا سوف نقوم بنقد أفكار برجسون من خلال نظرة نقدية *critical view*، ولكن أليس بالنقد يكون الوفاء؟ أليس التحليل *analysis* دليلاً على عمق المشهد الزماني البرجسوني، الذي يرفض أن نكون مستسلمين ومُسلمين بما هو قائم؟ ألم يكن برجسون مع (الباب المفتوح) وبالتالي مع الدين المفتوح والأخلاق المفتوحة والمجتمع المفتوح؟ إذن فقد أردنا هو أن نكون محللين وناقدين، لأن الفكر البرجسوني هو فكر الحياة الخصبة المستمرة، أو حتى ما فوق الحياة بحياة.
- فلسفة برجسون تتميز بالانفتاح المطلق، ولذلك فهي -دائماً- في انتظار من يكملها ويضيف إليها، وليس هذا عيباً فيها، بل دليلاً قوياً على ثرائها المعرفي.
- لذلك فقد ارتضى برجسون المذهب الحدسي، بل وأراده لغيره بدليل قدرته الفائقة على إقناع الآخرين بمذهبه بالأدلة والبراهين، فالديمومة نفسها مذهب ومنهج ورؤية جديدة للكون كله .. وفي إطار هذه الفلسفة البرجسونية لا بد أن نقدم مواقف واتجاهات وانحيازات برجسونية.
- برجسون فيلسوف الفضاء المتسع والأفق اللامتناهي والتغير للأفضل، فهو "شاعر الأحلام" بمستقبل أجمل مصحوباً بأحلام التغير والتطور، يربط اليقظة بالحلم، والآن الواحد بآنات العالم كله، هواء متجدد، وأحلام لا تنقطع، ولذلك جاءت كتاباته متدفقة في سيولة باهرة.. فبين التطور الخالق، وضحكة العالم، وينبوعه الأخلاق والدين، والمادة والذاكرة نرى أحلامنا نحن تنمو وتزدهر.
- إن برجسون فيلسوف الحياة، هو فيلسوف الإيقاع فيلسوف الآنات الثلاثة - فيلسوف ينبش بأظافره في باطن الزمن، لا بل في باطن الإنسان، وبين الهبوط والصعود وبين الماضي والمستقبل نجد إنسان اللحظة والحاضر.

- أعتقد أن برجسون يؤمن بمركزية الذات والديمومة في علاقتها بالواقع المحيط وفي علاقتها الباطنية بالنفس، إنها تركز على الذات كإشعاع داخلي يظهر بجلاء في الواقع الخارجي، في الحركة والتبدل والتغير والتكون، في الحرية والانطلاق، في النسبية دون الإطلاق.
- وكأن مقولة برجسون (كوجيتو زماني) هي [الزمان والتغير هما الوجود وأنا أعيشهما، إذن أنا موجود]، ولن ينتهي وجودي بموتي، لأنه ربما يوجد زمان آخر من نوع مختلف أعيشه بعد الموت .. إنها الصيرورة Decoming.
- برجسون هو "فيلسوف المشاعر" فيلسوف الذات الباطنية، فيلسوف الوجود المفعم بالوجود، فيلسوف ترى نفسك من الداخل، وأنت في دوامة فلسفته وديمومتها، إنه التيار والشريان والسيولة المتجددة.
- وتأتي أهمية الزمان، عند برجسون -حسب ما نرى - من أنه ليس مجرد قفزات leaps للأمام، بل هو حياتنا وماهيتنا. فالوجود الإنساني وجود زماني، بل هو -أيضاً- وجود مصيري، فحياة الإنسان، داخل الزمان، هي التي تحدد مصيره، حتى وهو خارج الزمان المؤلف ونغمه المعتاد.
- برجسون هو فيلسوف الجهد المستمر، فيلسوف النشاط والفاعلية الإنسانية التي تكون في طاقة الإنسان وربما فوق طاقته .. الحال يتبدل بحال، شعور متدفق، زمان مُنتالٍ، نلتقط أنفاسنا بصعوبة، ونحن مع برجسون نتحرك الأنا ويتحرك معها الدين والأخلاق، يلاحقنا التغير من كل حذب وصوب، لأنه فيلسوف البحث والتنقيب عن الحقيقي دون الزائف.
- إن فلسفة برجسون لتشهد بهذا الربط العبقري بين الفكر والوجود .. إن الفكر ليس في حالة مفارقة paradox مع الوجود، وهنا يحق لنا القول بوجود بذور وإرهاصات وجودية برجسونية تحمل طابعاً خاصاً وكأنه يتجه لزراعة الأرض الممهدة للفلسفة الوجودية معاصرًا سواء المؤمنة أو الملحدة. على حد سواء، كل هذا جعلنا نقف أمام المشهد البرجسوني نتأمله بعين الفلسفة والأدب، ولكن عبر مشاهد برجسونية تحمل موضوعات توظف في خدمة هذه المشاهد وهي كالتالي:
 - ١- هنري برجسون شخصية إنسانية مبدعة في كتاباتها.
 - ٢- الزمان - المكان - النسبية ودرس في الديمومة البرجسونية.
 - ٣- الحياة النفسية (المادة والروح وعلاقة الجسد بالنفس).
 - ٤- الدين من منظور أخلاقي برجسوني.

٥- قضية الحرية - قضية زمانية.

٦- تأسيس الأخلاق البرجسونية.

ولذلك كان المنهج الأصوب والأنسب لدراسة هذه الموضوعات هو منهج يعتمد

التحليل ويستلهم الروح النقدية إذن فهو: المنهج التحليلي النقدي.

١- هنري برجسون شخصية إنسانية مبدعة في كتاباتها:

هنري برجسون^(١):

Henri- Louis Bergson

فيلسوف فرنسي كبير ولد في باريس ١٨ أكتوبر ١٨٥٩ ومات ١٩٤١ وكان أبوه مؤلفاً موسيقياً وعازفاً على البيانو، وينحدر من أصل بولندي، أما أمه فهي إنجليزية، وكلاهما كان يهودياً، وأمضى طفولته وشبابه في باريس، كما أظهر نبوغاً في الدراسات الكلاسيكية والرياضية معاً، وقد حصل على الدكتوراه في الفلسفة برسالتين، عنوان الكبرى منهما: (بحث في المعطيات المباشرة للشعور)، والصغرى باللاتينية وعنوانها: (رأي أرسطو في المكان)^(*) ثم عُين في الكوليج دي فرانس Collège de France وهو أعلى معهد علمي في فرنسا، وقد حصل في عام ١٩٢٨ على جائزة نوبل في الأدب^(**).

في حين يرى Baker^(٢) أن برجسون لم يكن مشهوراً، شأن وليم جيمس، ولكنه يمتلك القدرة على تصوير وشرح كل ما يعنيه أو ما يريد التعبير عنه، وذلك بتزيين المقاربات والمشابهات والتعبير عن تفكيره بالصور والمعاني الفنية وهو -كطفل- كان يعبر عن نفسه بلغة النشوء وهو يرى كل حياته كما لو كانت تياراً جارياً من النشاط والحرية ومن خلال تيار الحياة الذي ينقسم، ويتشعب، ويتباعد.

وقد كانت لزوجته تأثير كبير فيه كما يرى Phipps^(٣)، وخاصة في نظرياته في الزمان والذاكرة، مما شكل منه فيلسوف المذهب الحيوي philosopher of vitalism، في حين أصبح المذهب الحيوي -وللأسف كما يرى البعض - كلمة (سيئة السمعة) في الدوائر العلمية^(٤).

(أ) مؤلفات برجسونية:

وهي متعددة وفي مجالات شتى نذكر أهمها كالتالي:

- ١- التطور الخالق^(٥) ← يخصص الكتاب لدراسة الحياة لكي يثبت أنها غير ساكنة، إلى جانب موضوعات في علم الحياة، وعلم الكون، ثم العلم الإلهي، ونقطة البدء هي نقده للبيولوجيا الميكانيكية، أي لنظرية التطور الآلي عند داروين، ولامارك، وهيكل وسينسر.
 - ٢- ينبوع الأخلاق والدين^(٦) ← عرض فيه رأيه في الدين والأخلاق والحضارة الإنسانية ومستقبل الإنسان، والكتاب مزيج من التصوف والفلسفة الخلقية والتأملات السياسية ذات النزعة الإنسانية الحاملة.
 - ٣- المادة والذاكرة^(٧) ← ظهر هذا الكتاب ١٨٩٧ وحاول فيه برجسون الجمع بين حرية العمل والذي يقوم به الإنسان، وبين الآلية الكونية التي تدير عليها المادة. كما يهاجم فيه رأي علماء النفس^(٨) في مفهوم الذاكرة، لأنهم يلحقونها بالمادة ويجعلون مقرها في الجسم، وانتهى إلى التمييز بين نوعين من الذاكرة، ذاكرة محضة، هي من وظائف الروح، وذاكرة هي عادة، وما هي إلا وسيلة للذاكرة المحضة.
 - ٤- الضحك - المدة والماعية^(٩) ← أصدر برجسون كتابين صغيرين، الأول بعنوان (الضحك: بحث في الهزلي) ١٩٠٠، والثاني هو (المدة والماعية) بمناسبة نظرية أينشتاين ١٩٢٢، وكتاب (الفكر المتحرك) وكان من أهم مقالاته فيه (المدخل إلى الميتافيزيقا)، و(العيان الفلسفي)، ثم مقالات ومحاضرات مُجمعة تحت عنوان "كتابات وكلمات".
- إلى جانب كتابات أخرى كثيرة^(١٠) مثلّ حول التوازي النفسي الجسمي، مؤتمر جنيف ١٩٠٦ - حول الحدس الفلسفي، الذي ألقاه في مؤتمر بولونيا (وهو نفسه العيان الفلسفي). ومن أهم مقالاته -أيضًا- (مقال في المعطيات المباشرة للشعور)^(١١) ١٨٨٩.
- (ب) مكانة برجسون العميقة لدى نخبة من الفلاسفة والمفكرين المعاصرين^(١٢):
- فيما يلي بعض الآراء حول برجسون تبين مكانة الفيلسوف في الفكر المعاصر:
- صمويل الكسندر ← أول فيلسوف منذ هيرقليطس حمل الزمن محمل الجد.
- ليوبرونشفيك ← لقد كشف برجسون بعمق عيب العقلانية السكونية التي تنساق وراء الحكم المسبق للثابت إلى حد أنها تقلب المتعاقب إلى تزامن.

فلاديمير بانكيفتش ← البرجسونية هي واحدة من تلك الفلسفات النادرة التي تختلط فيها نظرية البحث مع البحث نفسه مستبعدة ذلك الضرب من الازدواجية التقليدية الذي تتولد عنه المعرفة والمناهج.

إميل برهيه ← ما يسترعي الانتباه في فلسفة برجسون هو ما يعطيه من قيمة للإنسان .. وكذلك -أيضاً- وعيه الحاد بمخاطر الشرط الإنساني.

إ.م. يوشتسكي ← برجسون هو الممثل الأهم والأكثر أصالة لفلسفة الحياة الجديدة، وهو من أعطاهما أكمل صورها، لكنه إن وقف على رأس الحركة، فإنه لم يكن مؤسسها.

(ج) أصول فلسفة برجسون وخصائصها: إنها فلسفة الأبواب المفتوحة:

نحاول -هنا- أن نتبين الموقف البرجسوني من العقل والغريزة والذاكرة، وموقفه من الواقعية والمثالية، وفلسفته هل هي ذات طابع شخصي أم عام، وآراء حول فلسفته. كل ذلك بغية تأسيس رؤية فلسفية برجسونية بصدد الزمان والمكان والحدس والديمومة، بل والأخلاق والتطور أيضاً.

يعد برجسون^(١٣) من أهم ممثلي فلسفة الحياة الجديدة، وهو ينظر إلى خصائص العالم بحسب ما يقره العلم، كذلك في: الامتداد والتكثر العددي والاحتمالية السببية.

(د) أهم تيارات الفكر الفلسفي من ١٨٨٠ : ١٨٩٠ والتي يمكن أن يكون لها تأثيرها في الفلسفة البرجسونية:

أهمها الفلسفة الوضعية^(١٤) الأصلية (أوجيست كونت) ونظريات لامارك، وداروين التطورية، وتصورات فلاسفة تضامن الأفكار^(*) في علم النفس الإنجليزي، ثم اتجهوا إلى نظرية مذهب علمي محض يشمل الكون والبشرية.

تعقيب ← وسوف ندرك إلى أي حد أثرت هذه الفلسفات على برجسون تأثيراً جذرياً في الوجود والإنسان، وعلم النفس، والتطور.

أما عن المنهج البرجسوني^(١٥)، فإن برجسون لا يفصل بين المنهج والمذهب والرؤية والديمومة، وذلك لأن ممارسة الرؤية لا تستلزم الخروج من الزمان، كما كان يعتقد بعض الفلاسفة من أمثال شوبنهاور، وشلنج.

(* موقف برجسوني من العقل:

يقول د. عثمان أمين^(١٦) "حين اتهم برجسون العقل بأنه لا يعطينا إلا نظرة تعسفية عن العالم، وبأنه يقطع الواقع المتحرك ويجمده، قد فتح الطريق للاعتقاد بما لا يمكن قياسه وضبطه".

والفكر البرجسوني^(١٧) يعتمد على الوجود - الحركة - النوع - الزمان.

ولذلك يقول د. زكريا إبراهيم في كتابه (برجسون)^(١٨) إن ماهية الفلسفة عن برجسون هي روح البساطة .. إن الفلسفة عند برجسون مجاهدة وتوتر، ولذلك لم يتقبل النزعات العقلية التي تركز إلى الكسل والتراخي، حقاً إن فلسفته لم تكن -يوماً- فلسفة لا عقلية أو فلسفة مضادة للعقل، إلا إذا أمكن أن تكون ثمة معركة ضد الحرب، أو فن ضد الجمال، أو دين ضد الله .. إذن نزعة برجسون عقلية من نوع جديد فهي تحرص -دائماً- على تجنب كل (كسل عقلي).

وكان الفلسفة البرجسونية قد فتحت أبواباً جديدة أمام العقل كما يرى Phipps^(١٩)، وفلسفة برجسون تنظر نظرة جديدة للعقل في علاقته بالنشاط الإبداعي creative activity^(٢٠).

ويؤكد برجسون على وجود ثلاثة أنواع من المعرفة: معرفة تقوم على الحدس الشخصي، ثم معرفة تقوم على التجريد، ومعرفة وسطى تقوم على إدراك صور متوسطة بين معطيات الحدس وبين التجريد^(٢١).

وهنا تظهر علاقة الذات بالموضوع عند برجسون، إنه إيمان يجمع بين حقيقة الذات والموضوع، بمعنى أن الذات ليست من نتائج الموضوع، أي أنها ليست مجموعة من الآثار الصادرة عن العالم الخارجي، ولذلك فهي ليست منفصلة دائماً^(٢٢).

وإذا كان ديكرت يدفع التصورات الواحد بعد الآخر دفعاً تسلسلياً، فإن برجسون يدفع الفكرة نحو الواقع، ثم يسير مع هذا الواقع في منحنياته واتجاهاته معدلاً بذلك الفكرة في بكاراتها وهكذا^(٢٣)..

وإذا كنا نتحدث عن التصورات العقلية البرجسونية فلا بد أن نتعرض لعلاقة العقل بالذاكرة والغريزة عنده.

في (مشكلة الإنسان)^(٢٤) يأتي التفريق البرجسوني بين نوعين من الذاكرة: ذاكرة البدن، أو الذاكرة الآلية، التي تتجلى فيما يكتسبه الموجود من عادات حركية، وذاكرة النفس أو

الذاكرة الروحية التي يطلق عليها اسم الذاكرة المحضة، وربما لذلك، كما يرى د. زكريا إبراهيم، نفهم السر في أنه ليس لدى الحيوان تقليد أو تراث، وليس لديه -بالتالي- أي تقدم وسعي نحو الكمال، لأن الحيوان أعجز من أن يتعرف على الماضي بوصفه ماضيًا، وذاكرته الآلية لا تسمح بتكوين تراث حيواني بمعنى الكلمة، وليس في المملكة الحيوانية أي تقدم حقيقي.

وربما يبدو هنا تأثر برجسون بالفيلسوف (مين دي بيران)^(٢٥) الذي أكد على أن الذاكرة الحقة هي الذاكرة التمثيلية *memoire representative* حيث يكون التوازن بين (استدعاء الإشارة) و(ظهور المعنى الواضح).

إذن الذاكرة عند برجسون^(٢٦) ليست ظاهرة فسيولوجية، بل ظاهرة نفسية تعبر عن صميم حياتنا الشعورية، فتميز بين نوعين من الذاكرة. الذاكرة العادة، والذاكرة المحضة.

وهذا يستدعي النظر إلى موقف علماء النفس^(٢٧) المستندين إلى علم وظائف الأعضاء الحية (السيكولوجيين الفسيولوجيين) من الذاكرة وأشكالها.

(* موقف برجسون من العلاقة بين العقل والغريزة والقلب والغريزة:

يقول برجسون:

"إن الغريزة تعاطف. ولو استطاع هذا التعاطف أن يمد موضوعه، وأن ينعكس على ذاته أيضًا، لكشف لنا عن سر العمليات الحيوية"^(٢٨).

ويرى برجسون أن هناك اختلافًا بين الغريزة والعقل، لأن لكل منهما نوعًا من المعرفة لأن المعرفة في الغريزة تتعلق بأشياء، أما في العقل فتتعلق بعلاقات والغريزة تتعلق بالمادة والعقل يتناول الشكل^(٢٩).

وأن الطبيعة - كما يرى برجسون - هي من وضعت الغريزة ووضعت العقل، وهي - وحدها - يحق لها إعادة خلق التوازن الذي تسبب العقل في زعزعة استقراره^(٣٠).

ومن هنا جاء قول بسكال: "إننا لا نعرف الحقيقة بالعقل وحده، بل بالقلب أيضًا، وإنما نعرف المبادئ الأولى بهذا النوع الأخير من المعرفة، وعلى هذه المعارف، معارف القلب والغريزة ينبغي أن يستند العقل، وأن يضم عليها قضاياها"^(٣١).

ومما سبق جاءت الآراء حول فلسفة برجسون متشعبة فقد اعتبرت برجسون ممثل الحركة الروحية في فرنسا^(٣٢) .. ومن أهم المذاهب التي تمثل الحركة الروحية في فرنسا، قبل برجسون، هو مذهب مين دي بيران *Maine de Biran* ومذهب اميل بوترو

E.Boutroux أستاذ برجسون، ومذهب لاشيليه Lachelier ومضمون هذا المذهب هو أن التجربة الداخلية هي من أكثر وسائلنا المعرفية صحة وتأكيداً، وهي الوسيلة الأولى للمعرفة الجلية الواضحة.

وفلسفة برجسون تتبع من عيان ووجدان فلسفي واحد (الفكر والمتحرك)، ومهما تكن بساطة عيانه هذا، فإن فيه من الخصوبة والثراء ما يجعله حافلاً بالمعاني والنتائج^(٣٣).

إذن مهمة الفيلسوف عند برجسون هي أن يجد الأشياء المستورة وراء رموز كثيفة قليلة التحديد، وهو يرى أن الفلسفة يجب أن تكون في صميمها عوداً إلى الواقع والبساطة^(٣٤).

(* موقع فلسفة برجسون بين المادية والمثالية:

يرى البعض أن فلسفة برجسون^(٣٥) ليست إاثورة عنيفة ضد المذاهب المادية التي سيطرت على الفكر الفلسفي خلال القرن (١٩) ومطلع القرن (٢٠).

وإذا كانت المادية ارتبطت بالواقعية فما الموقف البرجسوني وهل تضمنت فلسفته الواقعية؟

كانت فلسفة برجسون من بين الفلسفات التي تضمنت بعض تعابير عن الواقعية، فهو، في بداية كتاب "الذاكرة والمادة"، قد جعل كل ما يحيط بنا صوراً، وذكر أن رؤية الشيء تعني وجودنا داخل الشيء، وبهذا صور لنا شعورنا بكمون المدرك الحسي^(٣٦).

ولكن يمكن القول إن برجسون أنشأ واقعية تختلف عما يدعوه بالواقعية المتداولة، وتتواءم مع مثالية منطرفة^(٣٧).

ولكن في الوقت نفسه لا يمكن أن نطلق على فلسفته أنها مثالية^(٣٨) بمعناها الميتافيزيقي، كما يقول (كريسون)، فهل الاندفاع الحيوي سوى الحياة ذاتها منظوراً إليها كمبدأ؟ ألا يجب أن نسمى مذهب برجسون (المذهب الحيوي الديناميكي)؟

ويرى البعض أن فلسفة برجسون^(٣٩) هي لغة الفلاسفة المثاليين المستندين إلى الحوادث الحسية، لا لغة الفلاسفة الروحانيين، ومع ذلك نجد عند برجسون بعض الاهتمامات ذات القرابة من المذهب الروحاني.

ويرى الكثيرون أن برجسون هو أول من ربط بين الميتافيزيقا والمادية عن طريق النظام البيولوجي الموجود في الطبيعة^(٤٠).

وما سبق قد جعل البعض يؤكد على فلسفة برجسون ذات الطابع الثنائي، فهو ثنائي في فلسفته، يرى في العالم اتجاهين متعارضين، هما الحياة والمادة، فالحياة تصعد وتخلق وتجاهد خلال المادة وتسمو عليها بالزيادة في الخصوبة ودقة التركيب، أما المادة فمتقلبة هابطة^(٤١).

وبالمثل كان في آثار برجسون^(٤٢) الثنائية نفسها حيث نجد القسم السلبي والقسم الإيجابي، الأول موجه نحو انتقاد وجهات نظر العلميين، أما القسم الثاني فهدفه إيجاد حل للمشاكل التي كان شرحها العلمي - في نظره - غير كاف.

(هـ) أوجه من النقد لفلسفة برجسون:

هل تعرضت فلسفة برجسون إلى النقد؟

الإجابة نعم، لأنه لا توجد فلسفة واحدة تخلو من النقد، لأن النقد دلالة واضحة على ثراء هذه الفلسفة وانفتاحها..

هناك من عارض^(٤٣) البرجسونية الجديدة والنظرة البرجسونية للتاريخ. وقد عارض بنيامين ميتافيزيقا برجسون.

كما يحذر خصوم البرجسونية من غياب العقل، فيقولون إن برجسون أعقل من أن يعلن الحرب على العقل، وإنما يحارب نوعاً معيناً من الاتجاه الذهني الذي يأخذ (قش الكلمات على أنه حب الأشياء)، ويحارب ضرباً من الكلام قضى فيه الاستدلال على العقل^(٤٤).

وعندما ظهر كتاب المفكر الدنماركي هوفدنج HOFFDING عن (فلسفة برجسون) ١٩١٦، لاحظ برجسون أن هذا المؤلف الممتاز لم يفتن إلى المحور الذي تدور حوله فلسفته، فقال له: "إن في اعتقادي أن كل تلخيص يقدم لأرائي من شأنه أن يشوهها في مجموعها، وأن يعرضها -بالتالي- لمجموعة كبيرة من الاعتراضات، اللهم إلا إذا نفذ الباحث، منذ البداية، وعاد -دائماً- إلى ذلك المبدأ الذي أعده مركز مذهبي بأكمله، ألا وهو حدس الديمومة L'intuition de la durée^(٤٥)."

٢- الزمان - المكان - النسبية ودرس في الديمومة البرجسونية:

لقد كانت النظرة الكلية لفلسفة برجسون واتجاهاتها الاستمولوجية مدخلاً منطقياً في غاية الأهمية - كما نرى - وذلك لدراسة قوام هذه الفلسفة ومنبعها الأساسي ألا وهو الزمان والمكان والنسبية والديمومة (حدس الديمومة)

الزمان - المكان - النسبية

عن الزمان نتحدث (نظرة زمانية عامة)

الكون .. بحر أبدي .. لا نهائي .. تبحر فيه أعداد هائلة من النجوم .. والكواكب.

اتساع لا حدود له للدوامة الكونية
يجب أن ننسى السرعات والمسافات المألوفة لنا في حياتنا الأرضية.
علينا أن نلقى ثوانينا .. وسنواتنا وحتى بأعمارنا كلها كوحداث لقياس السرعة والزمن.
نفكر بمقياس اللانهاية .. كعمق الكون^(٤٦).

ويقول إيليا أبو ماضي عن حيرته في الزمان.

وطريقي ما طريقي؟ أطويل أم قصير؟

هل أنا أصعد أم أهبط فيه وأغور؟

أنا السائر في الدرب أم الدرب يسير؟

أم كلانا واقف والدهر يجري؟ لست أدري^(٤٧)

وأحياناً ما يحمل الشعر بذور العلم، ومن هذا الشعر الذي ينطق به الشاعر أحمد شوقي قوله في ربط الزمن ببيولوجية الإيقاع في القلوب.

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان^(٤٨)

إذن إيقاع الزمن في أجسامنا - أيضاً-، فهناك مجموعة من البشر تستطيع أن تجعل من أمخاها ساعة زمنية مضبوطة، حتى ولو لم تأخذ قسطها من الراحة المطلوبة. ومن إيقاعية الزمن أيضاً (النوم) أي أن ظاهرة حلول النوم ظاهرة زمانية، ولو لم تكن، لما اختفى من الجسم الإنهاك والتعب^(٤٩).

فما هو الزمان إذن؟

لقد استعمل الإنسان كلمات عديدة تدل على الزمن مثل (وقت - زمان - قديم - حادث - مؤقت - دهر - أزلي - حين .. وكلمات مشابهة^(٥٠)).

ليس للزمن من واقع إلا في اللحظة، وبعبارة أخرى فالزمن هو واقع محصور في اللحظة ومعلق بين عدمين - يمكن للزمن أن يحيا من جديد، إلا أن عليه أن يموت قبل ذلك، ولا يستطيع أن ينتقل بذاته من لحظة لأخرى ليجعل منها ديمومة، فاللحظة هي بُعد الوحدة - روينال Roupnel^(٥١).

وعن اللحظة تأتي كلمات الشعراء:

- إن البكر والمتوقد والجميل هو اليوم - ملارميه Mallarmé.

- نكون قد فقدنا حتى ذاكرة التقائنا، ولكننا سنلتقي لنفترق، ولنلتقي من جديد حيث يلتقي الأموات على شفاه الأحياء - صمويل بتلار Samuel Butler^(٥٢).

ومما لا شك فيه علاقة الزمان بالماضي والحاضر والمستقبل – أما الماضي والحاضر فإنهما غير موجودين، بل مازالا فقط موجودين في القاموس كألفاظ ليس لها دلالات ملموسة، بل قد يشهد المستقبل حتى حذف هاتين المفردتين من القاموس لأنهما سوف يكونان دون معنى، وإن لم يتم حذفهما من القاموس حاليًا، ولكن سوف نشهد غيابهما قريبًا^(٥٣).

والحقيقة إننا لا نستطيع أن نتخيل حركة الوجود الإنساني دون الزمان، فالزمان يشعرنا بإيقاع الحياة رتيبًا .. أو سريعًا .. أو متوقفًا تمامًا – كما يدلنا على حركة الوجود الإنساني والكون بوجه عام^(٥٤).

إذن فالإنسان أدرك ذاته شبه كائن زمني وتاريخي، والزمانية حصيلة احتمال الحدوث والوقوع، وخاصية الإنسان هنا أيضًا تفوق (أفقي) تجاوز دائم لحاضره، نحو مستقبله، (الموت)^(٥٥).

في حين يرى باشلار أن دراسة جدلية الزمن يجب أن تتخلص من غموضها الكلي مالم تحدد على الفور مرماها الغيبي/ الما ورائي، فهي تطرح نفسها كمدخل لفلسفة الراحة، ولكن ليس بمستطاع الفلسفة أن تسعى وراء الطمأنينة بكل هدوء، وإنما تحتاج إلى براهين ما ورائية لكي تسلم بالراحة بوصفها حقًا من حقوق الفكر^(٥٦).

أما بالنسبة لقياس الزمن ومعياره^(٥٧) .. فعندما نعرف الزمن إجرائيًا ينبغي أن نفرق بين معنيين وإن كانا مترابطين الأول معنى الاستمرارية والديمومة duration حين تقول فترة من الزمن interval of Time والثاني عندما نتحدث عن لحظة زمانية، أو حين تقول نقطة في الزمن، وهما مترابطان. ومن المعروف أن الناس الذين يعيشون في غرف مغلقة يفقدون الإحساس السليم بالتغيرات الزمانية أو يفقدون الحس الزمني Sense of Time المضبوط، ولكي نحفظ بالحس الزمني يجب أن نصل إلى إيقاع التغيير rhythm of change مثل تعاقب الليل والنهار. أما بالنسبة لمعيار الزمن Standards of Time فكل الوسائل القياسية تدرج تحت نوعين هما:

- أ- نوع يتمثل في التغيير المستمر Permanent change.
- ب- نوع يتمثل فيه التغيير بحيث يكون دوريًا Periodic أي إيقاعيًا rhythmic مثل الليل والنهار، والفصول الأربعة^(٥٨).

وهذا ما جعل للزمن علاقة بالموسيقى والإيقاع.

الزمن والموسيقى

يقول ملارميه Mallarmé كل روح هي نغم علينا إعادته^(٥٩).

كما يرى راول دي لاغراسي أنه "في الموسيقى لا يتحقق الانسجام مباشرة أبدًا، وفي الموسيقى الحديثة بوجه خاص، غالبًا ما يجري خلال زمن معين تأخير الانسجام لجعله يحدث تأثيرات أعظم بعد الارتقاب"^(٦٠).

تتعلق نوته فتتلوها أخرى، وإذا توقفنا عن ذلك يحدث تنافر مطلق، موسيقى فاسدة، انعدام في الإيقاع.

وكما قال هاملت - شكسبير "إن الزمن لفي اختلاف واعتلال، ومن نكد طالعي أن أكون أنا المنوط باعتداله، والعودة به إلى النظام"^(٦١).

(ب) إرهابات أينشتين* في الزمان:

فقد تحدث أينشتين عن الحركة والزمان والفضاء باعتبارها كميات نسبية غير مطلقة، يعني بوصفها منتمية إلى انساق من إحداثيات معينة وارتباطات بالزمان وجد عند أبي الفيزياء المعاصرة مفهومًا لم يكن متداولًا من قبل هو مفهوم التزامن، ويتمثل في قياس الزمن اعتبارًا من سرعة الضوء^(٦٢).

وهكذا كان التزامن Simultaneity اتفاقًا زمنيًا في وقوع أحداث منفصلة في المكان، وقد كانت الصورة الكلاسيكية للعالم تتضمن مفهوم (الزمن المطلق) أي التدفق المؤثر للزمن، الذي يمضي، بشكل موحد، في كل مكان^(٦٣) ..

وفي النهاية، يمكن القول بوجود زمانين، زمن ظاهر، وزمن باطن. وهما ليسا بزمانين منفصلين ولا متناقضين؛ لأن الظاهر مرتبط بالباطن دائمًا، وكأنهما يؤديان الهدف نفسه، والزمن الباطن لا نعرف له وجودًا حقيقيًا، كل ما نعرفه هو آثاره التي تدل عليه، فكل منا - يحمل بداخله مثيرًا يبدو لنا وكأنما هو ساعة مضبوطة. ولكن أين تقع الساعة؟ لا أحد يعرف لكن هذا الزمن الباطن، أو الساعة البيولوجية Biological clock كما يطلق العلماء عليها ليست مقصورة على الإنسان، بل أيضًا في كل الكائنات غير المدركة^(٦٤).

ولذلك فإن إحساسنا الذاتي بالزمان - السهم النفسي للزمان يتحدد - إذن - داخل مخنا بالسهم الديناميكي الحراري للزمان^(٦٥) ..

(ج) خصوصية الموقف البرجسوني من الزمان:

إن جدلية الوجود والعدم الأساسية منتشرة مع الزمان (الزمان تردد) تلك مقولة برجسون التي ستأخذ المعنى الكامل الوجودي والزمني معًا^(٦٦).

إن الوجود ديمومة والديمومة زمان وهذا الربط بين الوجود والزمان لم يكن معروفًا من قبل برجسون، فالذي كان معروفًا أن الوجود ثابت، وهو ذو ماهية. أما الحركة والزمان فهي ظلال هاربة لا ندرکها إلا في ضوء الليل الباهت في كهف أفلاطون عندما ندير وجوهنا إلى داخله، وننظر إلى أمام جدار الكهف^(٦٧).

وقد اعتقد برجسون أن أغلب الأخطاء التي وقعت فيها الفلاسفات السابقة، قد جاءت من تصورها المستقبل على غرار الماضي، ونظريته هي في عدم التماثل بين الماضي - الحاضر - المستقبل^(٦٨).

وعند برجسون، وفي الزمان فقط، لا يعني التعاقب Succession أي شيء، ولكنه أيضًا ليس إضافة أو جمع addition، إنه التعاقب الذي بلغ أعلى نقطة culminates، وأن كمية التعاقب تأتي من مختلف المدد (الأجال) Terms^(٦٩).

وهذا الطابع الحركي للزمان هو الذي يميزه عن المكان، وعدم الإلتفات إلى هذا الطابع أفضى بكانط إلى الحديث عن شبح للزمان خال من الحيوية والحركة^(٧٠).

قد لاحظ برجسون أن ما يجعل الزمان شيئًا كميًا هو تدخل المكان، إذ إن الزمان الذي نجربه في أنفسنا، والذي أطلق عليه برجسون كلمة (ديمومة) شيء كفي وليس شيئًا كميًا^(٧١).

وهنا يحاول برجسون محاولة هامة هي تحديد المفاهيم أي التحديد المفهومي المتبادل بين الملائن/ الفارغ^(٧٢).
فما أنواع الزمان عند برجسون؟^(٧٣)

أولاً الزمان المتعلق بالمكان الناتج عن تقييم العقل للأشياء كي يستطيع معرفتها وإدراكها، وزمن نفسي داخلي متواصل كقطعة موسيقية واحدة غير منفصلة تمامًا والزمان الداخلي هو الزمان الحقيقي، أي الديمومة التي نحس بها ونحياها لذا يجب علينا أن ننزل عن العالم الخارجي، وأن نتجه نحو العالم الداخلي، فنشاهد حالتنا الباطنية في تعاقبها وتقدمها المستمر، هنا نشعر بتدفق الزمان الحقيقي^(٧٤).

أما التزامن البرجسوني^(٧٥) فيعني بالسؤال متى تكون الظاهرتان متزامنتين؟ الإجابة إذا كانتا دائمًا متفتنتين، إنما الأمر يتعلق بملاءمة بين صيرورات وأعمال.

(د) المكان البرجسوني وعلاقة بالزمان:

في البداية يتحدث برجسون عن عناصر الفكرة التي تكون المكان^(٧٦). والعلاقة بين التعدد الرقمي والمكان^(٧٧) numerical multiplicity and space وما المكان المثالي؟ وإعطاء صورة عن المكان فالمكان هو الاتصال (التجاور) أنه ليس الديمومة المجردة بل - فقط - استمرار للموضوعات المادية، وهذا يعني أننا نفكر فيها ككل.. إنه حدس المكان الذي وافق كل فكرة العدد المبهم (المجرد) abstract number، ويمكننا الإجابة عن كل الأمثلة عن طريق مراجعة الأشكال المختلفة التي تقدمها لنا التصورات عن فكرة الرقم (العدد).

والحقيقة إن الزمان والمكان^(٧٨) Time and Space مشكلان رئيسان لوجود المادة^(٧٩). الفلاسفة معنيون بما إذا كان الزمان والمكان حقيقيين، أو أنهما بكل بساطة تجريدان خالصان لا يوجدان إلا في وعي الإنسان.

ولذلك نجد أن قياسات الزمن^(٧٩) ليست، في حقيقة الأمر، إلا أماكن محددة في الفضاء، فالضحى أو الغروب وغيرها ليست إلا زوايا محددة بيننا وبين الشمس أي أن الأرض تتحرك في المكان ليكون الزمان.

من هنا ظهرت مشكلة المكان عند برجسون إلى جانب مشكلات ظواهر المكان ورمزيته^(٨٠).

يرى برجسون أن دراسة الحركة تفترض وسطاً متجانساً وراء الحركة ذاتها، ويعني من حيث هي فعل لا يشغل مكاناً وإنما يحدث في الزمان^(٨١).

ولكن الخطأ الأكبر (كما يرى برجسون) في اعتبار الزمان والمكان من نوع واحد، ومن شأن الخلط بينهما أن يفضي إلى الخلط بين الفلسفة والعلم بينما هما في الواقع لا يجتمعان معاً - إن صح التعبير^(٨٢).

كذلك فصلت الفلسفة الكانطية بين الزمان والمكان كذلك الذين اهتموا بالشعور والإدراك الخارجي external perception^(٨٣).

وإذا كان الكون له بداية في الزمان، وإذا ما كان محددًا في المكان، قد تفحصها كانط بعد ذلك بصورة شاملة في مؤلفه (نقد العقل الخالص) ١٧٨١ وقد سمى هذه المسائل (نقائص أي تناقضات) العقل الخالص^(٨٤).

(هـ) نظرية النسبية لأينشتين والموقف البرجسوني:

إن نظرية النسبية **The Theory of Relativity** تؤكد أن هناك حقيقتين هامتين:

١- الأولى: إن السرعة يجب أن تقاس بالنسبة إلى شيء ما، فهناك سرعة للطائرة على الأرض وفي الجو.

٢- الثانية: إن الحركة يمكن أن توصف بالنسبة إلى مشاهد معين، وأنه ليس في الإمكان أن نميز بين السكون rest والحركة المنتظمة من خلال التجارب^(٨٥).

وقد استنتج البعض من نظرية النسبية لأينشتين نتائج كثيرة، وهذه النتائج ناقشها برجسون في كتابه (الديمومة والمصاحبة في الزمان)^(٨٦).

ومن المعروف أن نظرية أينشتين في النسبية^(٨٧) فتحت آفاقًا جديدة وألقت أضواء لم تكن موجودة من قبل على طبيعة الكون ومفهومه، ولعل من أهم الآفاق الجديدة (التخيل الرياضي للكون)، وفي هذا يتابع العلماء الرياضيون تصور ما يمكن أن يكون عليه الكون مستخدمين المعادلات والمفاهيم الرياضية.

ومن المعروف أن فكر أينشتين^(٨٨) قد تحرر بفعل معادلاته الرياضية، من قيود المكان وأبعاده. وقد نشر أينشتين أولى نظرية عن النسبية ١٩٠٥، وهي نظرية النسبية الخاصة، ثم أعلن نظرية النسبية العامة ١٩١٦م.

وقد كان الغرض الأساسي من النسبية^(٨٩) هو أن تكون متماثلة بالنسبة لكل القائمين بالملاحظة، ولهذه الفكرة البسيطة بعض نتائج ملحوظة، ولعل أشهرها هو تكافؤ الكتلة والطاقة، كما جمعه أينشتين في معادلته المشهورة.

$$E=MC^2$$

حيث E هي الطاقة energy، و M هي الكتلة Mass، و C هي سرعة الضوء.

كما تشير نظرية النسبية إلى أن الزمن (بُعد) قابل للانكماش، وأحيانًا، وتحت حالات خاصة، تشير إلى توقف هذا الزمن .. ويتبع ذلك أن الماضي والحاضر والمستقبل مسألة نسبية، وأن غداً بالنسبة لك، قد يكون أمسًا بالنسبة لغيرك^(٩٠).

كما أن فكرة المكان سوف تلحق هنا بنظرية النسبية (نسبية التزامن)، وهذا معناه أن ترتيب الحوادث زمنيًا بمعزل عن المسافة هو بمعنى ما ترتيبًا تعسفيًا^(٩١).

وأخيرًا: يمكن القول إن برجسون قد تأثر بالنظرية النسبية لأينشتين، وانعكس ذلك على مجموعة محاضراته التي ألقاها في أكسفورد شاركًا نظرية النسبية لأينشتين^(٩٢).

(و) درس في الديمومة أم إزاحة لمفاهيم مغلوطة وتأكيدات على حقيقة ديمومية؟
يعتبر برجسون من كبار الفلاسفة الذين تدل فلسفتهم على مسالك الطاقة الروحية
الكامنة في الوجود والموجودات.

ولم تقتصر فلسفة برجسون على تعريف الطاقة الروحية في باطن الإنسان فقط،
ولكنها تعدتها إلى السلب والإيجاب، ومن هنا نجد مواقف برجسون الهادفة إلى تحليل وانتقاد
وجهات نظر أصحاب المذاهب العلمية، بالإضافة إلى مواقفه الإيجابية التي تهدف لإيجاد
حلول لمشكلات الآراء فيها غير كافية^(٩٣).

(*) والسؤال ما الديمومة؟ وما الديمومة الحققة؟؟

إن الواقع الحقيقي للزمن هو الديمومة عند برجسون وليست اللحظة سوى تجريد لا
واقع له^(٩٤).

وزمن الديمومة يقصد به الزمن المعيش، الذي تتداخل فيه الأزمنة في لحظة واحدة،
فالانتباه الذي يستدعي للوعي والنفس معطيات الحاضر الراهن ويستجمع، في الوقت نفسه،
الماضي عبر الذاكرة ويؤثر توقعاته عن المستقبل هذه الفكرة لها جذور عند برجسون ونجدها
عند أوغسطين في مقولته "ليس المستقبل طويلاً .. وإنما الطويل هو توقع المستقبل، وليس
الماضي طويلاً وإنما الطويل هو ذاكرة الماضي"^(٩٥).

إن مسار ديمومتنا يشبه، من بعض نواحيه، وحدة حركة تتقدم ويشبه، من ناحية
أخرى، تعدد حالات تنبسط .. إن ديمومتنا يمكن أن تعرض علينا مباشرة في حدس^(٩٦). كما
يرى برجسون أننا نملك تجربة باطنية ومباشرة للديمومة، بل إن هذه الديمومة هي معطى
مباشر للشعور، واللحظة عند برجسون ليست إلا قطعة مصطنعة تساعد التفكير المبسط
للهندسة والذهن نتيجة عجزه عن مسايرة ما هو حيوي، فيعتمد إلى إيقاف حركة الزمن في
حاضر يبقى دائماً مصطنعاً^(٩٧).

إن الديمومة العينية الواقعية هي كيفية خالصة عند برجسون أي هي تغير بدون
متغير، وحركة بدون متحرك، فهي نسيج الواقع^(٩٨)، ولكن هناك من يفصل بين الديمومة
والامتداد duration and extensity^(٩٩).

ومفهوم الوثبة الحيوية élan vital عند برجسون يأتي من طابعها التجريبي، فهل
يمكن أن ترد الظاهرة الحيوية إلى حوادث فيزيائية وكيميائية، والحق إن عالم الفسيولوجيا،
حين يقرر مثل هذا الرأي، فإنما يعني، عن وعي منه أو غير وعي، أن وظيفة الفسيولوجيا
هي البحث عما في الحيوي من فيزيائي وكيميائي^(١٠٠).

وهنا يحاول برجسون أن يضع الديمومة في موضعها المناسب بين الذاتية والموضوعية .. فكل البراهين التي جمعها برجسون حول موضوعية الديمومة، تؤيد تصوره لها، ويطلب برجسون أن نشعر بالديمومة في ذاتنا ومن خلال تجربة باطنية شخصية، إلا أنه لم يقف عند هذا الحد، فقد أظهر لنا بصورة موضوعية أن دفعة واحدة تجمعنا، وأنها جميعاً مدفوعون بموجة واحدة^(١٠١).

وينطلق برجسون من أجل تبسيط المعنى الزماني إلى النغم إلا أنه بدلاً من أن يؤكد أن النغم لا معنى له إلا بتتبع الأصوات، فإنه يحاول بإزالة هذا التنوع بين الأصوات وفي داخل الصوت نفسه أن يظهر أننا في النهاية نصل إلى التشابه^(١٠٢).

ولذلك يمكن القول أن ما صدر عن لاشيليه من أقوال حول اتصال الوحدات اتصالاً أشبه بإطراد النغمات في اللحن الموسيقي الواحد كان لا يزال يتردد في خاطر برجسون (النفس - الديمومة - اللحن)^(١٠٣).

(*) والسؤال الآن ما خصائص الديمومة؟

١- إنها مستمرة التدفق، وليس فيها مجال للتوقف الذي يؤدي إلى افتراض وجود لحظات متجزئة بالفعل، وهي تيار متكامل واحد.

٢- هذه الديمومة جد مستمرة، إذ إنها لا تتراجع إلى الماضي أبداً، بل تتفتح باستمرار نحو المستقبل.

٣- إنها مادامت دافعاً حياً بأنها لن تخضع لمبادئ الاستقرار، فلا يمكن التنبؤ بها، إذ إنها تجدد مستمر وخلق متوال^(١٠٤).

ومن هذه الخصائص يأتي ارتباط الديمومة بعلم النفس.

وقد عالج برجسون هذه النقطة في رسائله التي وجهها إلى العلماء والأصدقاء وهي (نقطة الدائرة في فلسفته)، ففي رسالته التي وجهها إلى هوفدنج ١٩١٦، حيث سجل بعض تصورات العقلية المعقدة قائلاً: "إن الوجود الذي نتيقنه أكثر من أي وجود آخر هو بلا ريب وجودنا، لأننا نشعر به في داخلنا .. إنني أشعر بأنني انتقل من حالة إلى حالة، أشعر بالحر أو بالبرد، بالفرح أو الحزن، إنها إحساسات ومواقف"^(١٠٥).

تعقيب ← أليس هذا هو تغير نفسي وزماني ومرحلي؟ إنه مزاجي، والزمان هو الذي يحدد الحالة المزاجية.

إن (الأنا) تتغير، ولا يمكن أن تستمر ولا أن تدوم، ولأن حالة سيكولوجية تظل هي هي طالما لا تخلفها الحالة التالية لا يمكنها أن تدوم هي أيضًا، إذن فتلك المجمدات المرصوفة على مجمد، ولن يمكنها أبدًا أن تصنع ديمومة تتواصل^(١٠٦).

ومهما ظلت الظروف ذاتها، فإن الشخص الذي تعنيه يتغير دائمًا، إنه يجتاز في كل لحظة نقطة قديمة من تاريخ حياته إلى نقطة جديدة، إننا نبني شخصيتنا باختيار يتراكم في كل لحظة، لذلك نحن نتغير دائمًا .. إذن تنمو شخصيتنا وتتضح بصورة متواصلة، فكل لحظة من تاريخنا هي جديد يضاف إلى قديم، بل هي شيء لا يمكن إتقانه (لأنه غارق غارق في ظلام الغيب)، ولذلك (تكتمل عملية هذا الخلق بقدر ما نحن نفكر في ما نصنعه)^(١٠٧).

(* الديمومة بين الشدة والتراخي (إيقاع الديمومة)

في الحقيقة لا يوجد إيقاع واحد للديمومة، يمكن أن نتخيل كثيرًا من الإيقاعات المختلفة أكثر بطئًا أو أكثر سرعة تقيس درجة توتر أو ارتخاء المشاعر، وبالتالي تحدد مكانها الخاص في سلسلة الكائنات .. وهذا ما جاء في كتابه (المادة والذاكرة)^(١٠٨).

وقد حاول برجسون القضاء على فكرة الشدة، وقد عاد إليها في صورة أكثر اتسامًا بالطابع الميتافيزيقي بعد أن سماها بالتوتر^(١٠٩).

(* والسؤال لبرجسون ما الديمومة الحقيقية؟

أو سؤال آخر ما معنى الديمومة داخلنا؟^(١١٠)

What is duration within us?

إنها التعدد الكيفي qualitative multiplicity ولا يشبه العدد كتطور عضوي، وليس هو الكم المتزايد increasing quantity، وفي هذه الحالة تكون اللحظات في الديمومة الداخلية inner duration غير ظاهرية بالنسبة لكل لحظة مع الأخرى.

(* ولكن السؤال .. ماذا تعني الديمومة في وجودها خارجنا؟

لاشك أن الأشياء الخارجية تتغير، ولكن لحظاتها لا تتجح إحداها على الأخرى، وذلك إذا أبقينا أو احتفظنا بالمعنى العادي للكلمة نفسه، ما عدا من أجل الشعور الذي يحافظ عليها في العقل، ونحن نلاحظ ذلك داخلنا (داخل اللحظة المعطاة) في النظام العام.

إذن الديمومة الحقيقية هي الزمان النفسي أو الزمان الداخلي والحياة النفسية تلقائيًا، أو هي انبعاث من باطن وخلق مستمر أو ديمومة لا تحتل رجوعًا إلى الماضي^(١١١).

وبالتالي ليس الزمان هنا هو زمان المنبهات والساعات، إنما المقصود هو الزمان الباطني بتجربتنا، أي ما يسميه برجسون بالديمومة (المادة التي صنع منها الواقع ذاته)^(١١٢).

الديمومة ليست هي الزمان المتواطأ عليه في المجتمع محصوراً في حيز معين، ولا هي الزمان الذي نتفحصه في الخلاء الأرحب، وإنما هي زمان الحرج والمثابرة زمان اللوعة والأصل^(١١٣).

ولكن كيف تُدرك الديمومة؟؟

مما لا شك فيه أن الديمومة تدرك بالحدس، ولكننا نواجه بأسئلة كثيرة عن مفهوم الحدس عامة، وأنواعه، ووظيفته، واختلاف الحدس البرجسوني عن حدس الكثير من الفلاسفة .. وهذا ما سوف نعرض له الآن ..
- ليس الواقع سوى حدس جماعي^(١١٤).

ليلي توملين Lily Tomlin

- رقة الطبيعة أكثر بمرات كثيرة من رقة الأحاسيس والفهم

فرانسيس بيكون Francis Bacon

الحدس ← فهم مباشر لموضوع دون توسط أي عملية استدلالية، ومن ثم فالحدس الأخلاقي، طبقاً لهذا، هو الفهم المباشر لموضوع أخلاقي دون التفكير فيه على الإطلاق^(١١٥).

وقد ذكر برجسون الحدس في كتابه عن مقدمة الميتافيزيقا عندما عرفه بأنه الفعل الذي ينكشف لنا بواسطة الواقع المطلق^(١١٦).

إذن يُعرف المطلق عن طريق الحدس، بينما يرجع كل شيء آخر إلى التحليل، ونطلق هنا لفظ الحدس على التعاطف الذي ينتقل بالمرء إلى داخل شيء ما للتطابق مع ما ينطوي عليه من صفة فريدة تستعصي - لذلك - على التعبير. أما التحليل^(*) فهو على العكس، العملية التي ترد الشيء إلى عناصر معروفة من قبل أي عناصر مشتركة بين هذا الشيء وغيره^(١١٧).

والحدس البرجسوني هو نحو من أنحاء الفكر، هو انتقال المرء بالروح إلى لب الشيء الذي يراد دراسته، وإدراك حقيقته من الداخل، (إنه فعل من أفعال الانتباه والحب يسمح لنا أن ننفذ إلى قلب الكائنات والأشياء) كما يقول لوي لافل^(١١٨).

إذن المعرفة الحقة حدس يدرك الموضوع في ذاته، ولكننا لا نزاول هذا الحدس إلا نادراً بسبب ما يقتضيه من توتر النفس في مجهود شاق مؤلم للنفاد إلى باطن الموضوع ومتابعته في صيرورته. أما العقل فقد خلقه التيار الحيوي للعمل لا للنظر كما خلق الغريزة في الحيوان^(١١٩).

ويرى البعض أن الحدس نفسه هو منهج .. إن الحدس لا يصير منهجاً كما أنه لا يحتاج إلى البحث عن منهج والحدس البرجسوني إن كان منهجاً، فهو لا يكف عن كونه حدساً، أي كونه معرفة مباشرة - الحدس بوصفه منهج التأليف - إن الحدس يؤلف لأنه ضرب من ضروب الإدراك الذي يلتحم بالأشياء التحاماً فلا ينقاد من ظاهرها إلى باطنها، بل ينفذ إلى باطنها مباشرة باحثاً عما يمكن أن يكون فيها من وحدة فعلية ومتصلة، غير أن الحدس حيث يؤلف لا ينطلق من الوحدة، بل ينتهي إليها^(١٢٠).

ومن هنا كانت وظيفة الحدس عند برجسون هي الكشف عن طبيعة الذات التي هي، في جوهرها، صيرورة وتغير وتجدد وخلق مستمر، من كل ما سبق ندرك مدى الاختلاف بين الحدس البرجسوني وحدس الآخرين^(١٢١)..

إن الحدس عند ديكارت هو الحدس البديهي لمعرفة القضايا البديهية، وعند كانط يعتبر الحدس كالمعرفة المباشرة لموضوع التفكير المدرك في حقيقته الطردية. كما يختلف أيضاً مع الحدس الأفلاطوني^(١٢٢).
أخيراً ..

(ز) نقد الديمومة البرجسونية:

إن حجة برجسون تؤول إلى هذا: لا يوجد شيء غير متحرك في الواقع، ومعنى هذا أن الواقع ليس إلا حركة خالصة وتغيراً خالصاً، ومن الواضح أن الديمومة تتضمن شيئاً يدوم، وهو الخطأ المنطقي الذي كان يجب على برجسون أن يتفاداه، ثم إن تصور تغير خالص، أي حركة دون متحرك هو أمر لا يمكن أن يتعقله العقل؛ إذ الحركة والتغيير ليسا سوى عرضيين إضافيين وهما يستلزمان بالضرورة ذاتاً متحركة ومتغيرة^(١٢٣).

(٣) الحياة النفسية (المادة والروح، وعلاقة الجسد بالنفس):

(أ) مدخل أخلاقي:

يقول د. زكريا إبراهيم في (مشكلة الإنسان): "إن الحياة الشخصية للإنسان، في صميمها، انقباض وانبساط، تقلص وامتداد، تركيز وإشعاع، انفصال، واتصال، انطواء على الذات وافتراق عنها .. إذن لا بد للموجود البشري من حياة باطنية"^(١٢٤).

(ب) السيكولوجيا البرجسونية والزمان

إن فلسفة برجسون هي فلسفة الامتلاء، وسيكولوجيته هي سيكولوجية الممتلئ، وهذه السيكولوجية من الغنى والدقة والحركة بحيث لا يمكن تناقضها، وهي تتكفل بأداء كامل يجعل المسرح النفساني مليئاً دائماً، وتكون في الآن ذاته وسائل نجاح متكاملة^(١٢٥).

إذن لا بد من وجود دور للجدلية في الظواهر النفسية، والجدليات هنا ليست من النوع المنطقي إنها من النوع/ السياق الزمني، ولذلك فإن متناقضات السلوك حين تؤخذ على مستوى ظواهر الحياة، فلا بد من تحديدها بحدود التعاقب^(١٢٦).

والحقيقة إن الاتصال في الحياة النفسية يدل على الإقرار بالشخصية الإنسانية، وعلى احترام هذه الشخصية، من حيث إن الشخصية هي اتصال ديناميكي حقيقي يقضي بأن يظل الماضي حياً باقياً في الحاضر^(١٢٧).

تعقيب ← إذن عبقرية الشخصية الإنسانية يكمن في ديمومتها وارتباطها بالزمان وذلك دليل رسوخها الوجودي رغم تعاقب الزمن وتغير الأحوال.

وهنا يمنع برجسون نفسه من وصف الماضي في مادة، لكنه، مع ذلك، يصور الحاضر في الماضي، وهكذا تتجلى النفس كشيء وراء ظواهره، وهي حقاً ليست معاصرة لسيولة الأشياء والظواهر، لقد أبقت البرجسونية مكاناً للتضامن بين الماضي والمستقبل^(١٢٨).

ومن هنا جاء قول بيارجانية: (إذا تكلمنا عن معرفة الزمان، فلا بد لنا من الوصول إلى تقديم طرائق للمدافعة عن الذات في مواجهة الزمان وطرائق استخدامه)^(١٢٩).

(ج) التحليل النفسي للوجود الإنساني:

إن برجسون لا يحلل الوجود الإنساني كما يحلله كيركجور، فالغاية من التحليل - عند هذا الفيلسوف - هي أن يوجه السلوك الإنساني في الحياة نحو (حياة أفضل)، والإنسان هو الوحيد من بين الموجودات الذي يستطيع أن يقرر أنه موجود، ويقرر طبيعة هذا الوجود، أليس هذا تحليلاً نفسياً للوجود؟^(١٣٠). و(الوقائع المباشرة للوجدان) تشهد بأن الحياة النفسية تيار غير منقطع من الظواهر المتنوعة، أي تقدم متصل من الكيفيات المتداخلة، بخلاف الظواهر المادية التي هي كثرة من الأحداث المتميزة المتعاقبة^(١٣١).

وقد عالج برجسون مشكلة التعادل بين الحالة النفسية والحالة الدفاعية التي تقابلها بأسلوبه العلمي الوثيق، وهنا يرى برجسون أن الحالة الدماغية ترسم للحالة النفسية حركيتها.. إنك تعرف الحالة الدماغية التي تصاحب حالة نفسية معينة، ولكن عكس هذا غير صحيح. كما يقول د. مراد وهبه^(١٣٢).

والحقيقة - كما يرى بوليتزيد - إن وضوح الأعراض العضوية في الأمراض السيكوسوماتية يقتضي تفسيرها فهماً (للعنصر الإنساني) طبقاً لمكتشفات التحليل النفسي في ميدان أمراض النفس، وقد تغلب الطب على عجزه في تناول الأعراض العضوية في الأمراض السيكوسوماتية وعلاجها^(١٣٣).

كما يقول: "لا نبحت في أي حال عن المعطيات المباشرة، بل نحن نحاول معرفة ما إذا كانت هناك ظواهر حقيقية تبرر قيام السيكولوجيا، ولا يهمنا ما إذا كانت تعتبر مباشرة أو غير مباشرة"^(١٣٤).

ومن هنا يمكن القول إنه لو قرأنا (السيكولوجيا العيانية) لخيّل إلينا أن فرنسا لم تتجب منذ فيرسانجيتوريكس حتى ظهور السيد برجسون سيكولوجياً تجريبياً واحداً^(١٣٥)..

وربما يأتي التأثير الحقيقي في برجسون - في هذه المسألة - من (بيران) لأن المنهج، في جميع مراحلها عند بيران، هو منهج التأمل الباطني، ونبغ به دائماً وقائع هي المعطيات المباشرة للشعور^(١٣٦).

(د) علاقة الجسد بالنفس عند برجسون:

يعتقد برجسون أن حياة الروح لا يمكن أن تكون نتيجة لحياة الجسد، بل بالعكس، فكل شيء يجري هنا كما لو كان الجسد موضوعاً تحت تصرف الروح^(١٣٧).

إن برجسون يميز بين المادة والروح تمييزاً عميقاً، وفي مشكلة العلاقة بين العقل (أو النفس) والدماغ يرفض برجسون رأي القائلين بالتوازي النفسي الجسمي، ويقرر أن النشاط العقلي ونشاط الدماغ، وإن كانا مرتبطين، فإن أحدهما ليس نسخة من الآخر^(١٣٨).

وقد حاول برجسون في كتابه (المادة والذاكرة) تحديد الصلة بين النفس والجسد وتعيين الروابط بين الذاكرة والدماغ، وعالج على وجه الخصوص علاقة (ديمومة الوجدان) بالحياة المادية والعمل^(١٣٩).

وإذا كان جسدنا لا يلعب أي دور في تكوين الصور، فإنه يلعب دوراً بالغ الأهمية، في انتخاب ما ننتخبه منها^(١٤٠).

وبهذا التفسير لعلاقات النفس بالبدن بين برجسون أن الذاكرة أو (النفس) ليست صادرة عن المادة، بل بالعكس أن المادة مشتقة، إلى حد ما، من الذاكرة^(١٤١).

ويعالج برجسون هذه العلاقة بطريقة مختلفة: فيرى أن مسألة الصلة بين النفس والامتداد، هي بعينها مسألة الصلة بين الكيف والكم، وتصور بعض الفلاسفة مثل أفلاطون

وبرجسون الكم كانبساط الكيف أو كيف في صورة مخففة، وصف برجسون أيضًا الكيف بأنه تشخص لكمّ وتكثيف له^(١٤٢).

النفس والأخلاق (مدخل سيكولوجي):

نشاهد اليوم في السيكلوجيا انصهار كافة هذه الاتجاهات في المثالية، وقد نتج عن الحركة الكبيرة للسيكلوجيا الوصفية انصهار مثالي كبير، ومثالها السيكلوجيا اللاهوتية البرجسونية في فرنسا^(١٤٣).

والظاهرة السيكلوجية - بشكل عام - هي -دائمًا-مقطع من حياة الفرد المعين، وأي وسيلة أخرى للنظر إليها تدمر واقعيتها^(١٤٤).

ولذلك عندما ننسب الشدة إلى وقائع سيكلوجية عميقة مثل الفرح أو الحزن، فنحن نعني أنها تغير كيفي تدخل حتمًا تفاعلات عديدة، قد تمت بين حالات نفسية متميزة، فالفرح - مثلًا - قد يبدو ضعيفًا عندما يكون منعزلًا عن حياتنا النفسية، ثم يصبح أقوى حين يرتبط بحياتنا النفسية ارتباطًا حيًا^(١٤٥).

(٤) الدين - من منظور أخلاقي برجسوني:

يقول د. زكريا إبراهيم "ألم تشعر يومًا أن وجودك هو شيء أكثر من مجرد حياتك؟ ألم تجد نفسك مدفوعًا يومًا إلى القيام بقفزة عالية من أجل عبور الهوة التي تفصل بين ما أنت كائن وما تريد أن تكون؟ ألم تشعر يومًا بأن لوجودك بعدًا ثالثًا هو الارتفاع، أو العلو أو الفوق؟" إذن، فالإنسان مخلوق ميتافيزيقي^(١٤٦).

إنه البحث عن هويتنا الدينية our religious identity وقد استحضرت الهوية الدينية من خلال الوعي الجديد وأشكاله، ومن خلال الأسئلة العامة للشخصية والهوية المعقدة^(١٤٧).

في البداية يحدد برجسون المجال الفلسفي، فيقيم فصلًا بين الفلسفة والدين، من حيث إن لكل منهما موضوعًا خاصًا ومنهجًا خاصًا، وهذا على غير المؤلف، من حيث إن الفلسفة، في نشأتها الأولى، كانت صدى روحيًا لتجربة دينية يقصد بها إلى توكيد العلة المقدسة للصورة الكونية^(١٤٨).

ويتساءل برجسون: هل للحيوان قدرة على التدين؟ سنضطر حينئذ إلى القول بأن الإنسان العاقل وهو الكائن الوحيد الموهوب عقلاً، هو أيضًا الكائن الذي يستطيع أن يربط وجوده بأشياء غير معقولة^(١٤٩).

ويقول: إن أعظم ما أنتجته الوظيفة الخرافية من الوهم الإرادي لدى الإنسان في الدين الساكن هو تصور الإله^(١٥٠).

في حين يرى مثال أن النزعة الروحية العميقة، عند برجسون، تعلق على الرسوم والشعائر الدينية وسائر ألوان التحزب الطائفي والعقائدي^(١٥١).

فما الموقف الديني الحقيقي لبرجسون؟

يرى برجسون أن إثبات وجود الله ترف الآن، لأن تماسك أفراد المجتمع يتم عن طريق النظم والتشريعات، فلا حاجة إلى وجود إله يجمع أفراد المجتمع^(١٥٢).

ولهذا أدرجت الكنيسة كتب برجسون ضمن قائمة الكتب الممنوعة كنسياً، وفي ١٩١٤ حرمت قراءة كتاب "التطور الخالق"؛ لأنه يقود - في رأيها - إلى الإلحاد وإنكار الخلق المباشر من الله عز وجل^(١٥٣).

وبرجسون^(١٥٤) يرفض الأدلة التقليدية على وجود الله، كما أن الطبيعة^(١٥٥) عنده تحي وتميت .. إذن يعتقد برجسون أن المحي والمميت سيد نحمله معنا في كل حين، وينام داخل نفوسنا، فلا داعٍ للبحث عنه خارج النفس البشرية.

إذن الله^(١٥٦) عند برجسون ليس حاصلًا على شيء تام، ولكنه حياة غير منقطعة، وحرية، وخلق على هذا التصور لا خفاء فيه، فإننا نحسه في أنفسنا حالما نعمل بحرية، وعلى هذا يكون برجسون من أصحاب وحدة الوجود.

ويحصر برجسون الشرك في الاعتقاد بالأرواح سواء كانت هذه الأرواح شريرة أو خيرة^(١٥٧).

(أ) الله - الديمومة البرجسونية:

ما وضع الله بالنسبة للديمومة المستمرة أو التطور الخالق؟

يرى برجسون أن الله هو المركز الذي تتبع منه العوالم، وليس هذا المركز شيئاً معيناً بل هو انبثاق مستمر أو نبع متواصل التدفق، ويبدو أن برجسون قد استمد هذه الفكرة من تاسوعات أفلوطين^(١٥٨).

والله، كما صوره برجسون، أي الأصل الذي انبعثت منه الصورة الحيوية، هو إله يتمتع بحياة أبدية وكيان مرتبط بكياننا^(١٥٩).

وتتحد فكرة برجسون عن الله مع فكرة الاندفاع الحيوي .. ففي كتابه (التطور الخالق)، يبدو الإله (ديمومة) اشتدت وتوترت وتركزت. فالحب الإلهي ليس شيئاً آخر غير الإله، بل هو الإله نفسه^(١٦٠).

وهذا الكيان الإلهي مرتبط بكياننا على النحو الذي ترتبط فيه إدراكاتنا الحسية بالأشياء المدركة، فهو يشبه صورة مركزة لديمومتنا، وكل الديمومات في آن أبدي واحد^(١٦١).

(ب) الدين المتحرك والدين السكوني البرجسوني:

يقسم برجسون الدين إلى دين ساكن منبعه الغريزة، ودين متحرك منبعه الحدس.

الدين الساكن ← يوجد لدى المجتمعات البدائية والمتحضرة ولا يخلو مجتمع من دين ما. والدين بهذا المعنى ولید حاجة بشرية.

الدين المتحرك ← فإنه تجربة روحية منبعها الحدس لا الغريزة، وغايته الاتصال بالله، لا التمسك بالمجتمع^(١٦٢).

يؤكد برجسون على وجود الدين الثابت والميكانيكي، فالأول قد اصطنعته الطبيعة، كي تدافع به عن نفسها ضد البصيرة وما يحدثه نشاطها، وهو نشاط كفيل بانحلال المجتمع، إذن فإن الدين الثابت يربط الإنسان بالحياة والإنسان بالمجتمع، وذلك عن طريق خرافات خادعة. أما الدين الديناميكي أو التصوف، فإنه مخالف لذلك تماماً، فهو يصدر عن عودة في اتجاه النشاط الحيوي^(١٦٣).

ويؤكد برجسون على أن الدين السكوني له علاقة بالسحر والخرافات ووظيفته أسطورية. وهو رد فعل دفاعي تقاوم به الطبيعة، في اشتغال العقل، مما قد يشل قوى الفرد ويحل تماسك المجتمع^(١٦٤).

وأخيراً نجد تعدد المواقف بصدد المعتقد البرجسوني، فهناك من قال بموته على الإلحاد ونكران الإله، وقائل بموته على النصرانية الكاثوليكية، ويبدو للمتتبع أن موته كان على الديانة النصرانية الكاثوليكية^(١٦٥).

(ج) الدين والأخلاق:

يأتي في كتاب الدين وصناعة المجتمع Religion and the Making of Society السؤال عن الوظيفة الاجتماعية الحالية للدين، وسلامة المجتمع بالدين والفعل الإنساني^(١٦٦).

وإذا كان الدين هو اعتقاد في حقيقة خارقة للطبيعة تؤثر في المعتقد بها عاطفياً بطريقة تدفعه إلى أداء أفعال معينة موجهة نحو تلك الحقبة السامية، ومن الوجهة التاريخية، فهناك ارتباط وثيق بين الأخلاق والدين وفي الوقت نفسه هناك اختلافات بينهما^(١٦٧).

ويأتي في كتاب هيرفه (الديانات) الخلاص الزمني للإنسان، وهذا الخلاص مهما كان نعمة مجانية من لدن الله، فالله يحب الإنسان .. إن الإنسان في المسيحية لا يستطيع أن (يخلص) من تلقاء ذاته فقط، لأن المسألة ليست فقط في الهروب من الزمن أو العذاب، بل إنها في الخطيئة الملازمة للإنسانية منذ السقطة الأولى^(١٦٨).

وهنا نجد برجسون يعترف بوجود القيامة الذي يحاسب فيه الناس على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ويعلل ذلك بأن الاعتقاد بوجودها يجب أن يفي لذة الحياة العاجلة أو يجعلها خافتة لا تدرك بالعين المجردة^(١٦٩).

ولذلك يرى برجسون في (منبع الدين والأخلاق) أننا حين نلفظ كلمة (دين) كأنما نفكر في العقائد الدينية وما تتضمنه من نظرة ميتافيزيقية، بحيث إننا حين نسلم بالدين، أساساً للأخلاق، نتصور طائفة من المفاهيم تتناول الكون، وتتصل بالله، إذا سلمنا بها نتج عنها (فعل الخير)، وهذه المفاهيم تؤثر في إرادتنا تأثير الأفكار، ونحن هنا في مستوى العقل^(١٧٠).

والسؤال مَنْ هو الإنسان المهذب عند برجسون؟

إن الإنسان الكامل الحضارة يعرف أن يتحدث عن كل ما يطيب لمحدثه أن يسمعه، ولذلك يحبه الناس حتى قبل أن يعاشروه، لأنهم يجدون فيه صديقاً من أول حديث لهم معه يطيب لهم فيه هذه المرونة التي يجول بها معهم عبر آرائهم؛ لأن ميزة الإنسان الكامل الحضارة هي أن يحب أصدقاءه جميعهم حباً واحداً، لكنه يبدو وكأنه يحب كل واحد منهم أكثر [من خطاب ألقاه بمناسبة توزيع الجوائز في مدرسة كليرمون فران الثانوية ١٨٨٥] ^(١٧١).

ولذلك يرى برجسون أن تطور الإله في الدين الساكن، وتعدد صورته أمرٌ حسنٌ يقود إلى (الرقى البشري)، وأن الصعود التدريجي في ساحة الآلهة زيادة والنزول التدريجي نقصاً، نوع من التقدم حققته البشرية في سيرها الحضارية^(١٧٢).

تعقيب ← وهنا نرى أن برجسون هو الملهم بما يُعرف بروح الدين - الدين الثوري - الدين التقدمي أو لاهوت التحرير الذي نجد له صدى واسعاً في وقتنا المعاصر .. ففي الدين قضايا ومذاهب أخلاق وتقدم واندفاع نحو الأمام، صعود متواصل، عدالة، حب - مساواة، تأخ .. إنه الدين القادر على تحرير الإنسان من صور العبودية والبديل هو إشاعة روح الاحترام والمودة والمساواة.

كما يتحدث برجسون^(١٧٣) عن العلاقة بين الدين والأخلاق الصوفية، لأن التصوف الحقيقي عنده هو فعل - خلق - حب.

ومما لا شك فيه تأثر برجسون بالفيلسوف مين دي بيران، فقد^(١٧٤) كتب بيران في أغسطس ١٨١٨، في نبذات تتعلق بأسس الأخلاق والدين، عن فكرة التعاطف.

كما يربط برجسون بين الدين والسياسة والحب، فكان يرى أن فلسفته ستنتهي حتمًا إلى فلسفة ديمقراطية، تلك الديمقراطية المرتكزة على محبة الله^(١٧٥)..

وفي النهاية يأتي السؤال العام، هل يمكن أن تكون هناك مسئولية أخلاقية دون الميتافيزيقا؟^(١٧٦).

٥- قضية الحرية - قضية زمانية:

(أ) موقف برجسوني من الحتمية:

إن الحرية كما يذكر د. زكريا إبراهيم هي مشكلة المشاكل، وهي سر الوجود الإنساني، الذي هو في صميمه تأرجح بين الوجود، أليست الحرية هي التي أوحى إلى الموجود البشري بأنه (نصف إله)، وهكذا أصبحت مشكلة الحرية هي مشكلة الإنسان في صراعه مع الله، بعد أن كانت مجرد حوار بين الإنسان والطبيعة، أو بين الإنسان والمجتمع، أو بين الإنسان والحيوان الباطن فيه^(١٧٧).

إن الحرية الحقيقية لا تنحصر في حلم الاستقلال عن قوانين الطبيعة، وإنما هي تنحصر في معرفة تلك القوانين من أجل استغلالها لتحقيق غايات معينة، بطرق منهجية مرسومة^(١٧٨).

(ب) مشكلة الحرية عند برجسون:

في الحقيقة إن برجسون لم يتناول مشكلة الحرية باعتبارها موضوعًا فلسفيًا قائمًا بين غيره من الموضوعات الفلسفية، وإنما اتخذها طريقًا جديدًا يتأدى به مباشرة إلى الحرية ذاتها، وإلى التحقق منها باعتبارها واقعة أولية^(١٧٩).

وقد ظهرت فلسفات قبل برجسون أدت به إلى الحديث عن الحرية ونقد الجبرية.

وتمثلت في فلسفة انطوان أوجستان كورنو Antoin-Augustin Cournot، وكورنو يحاول أن يدل على الحرية، فهو ينادي في المعرفة بعوامل الاحتمال واللاتعين^(١٨٠).

كما أن نظرية برجسون في الحرية تتصل بالفيلسوف إميل بوترو Emile Boutroux فكلُّ منهما يحمل على المادية والجبرية ويقوم فلسفة روحية تقول بالحرية الإنسانية^(١٨١).

كما أن تاريخ الفلسفة والفكر الفرنسي خاصة، يشهد بأن التعارض بين المادية الروحية، وبين الجبر والاختيار تعارض قديم، كما أن هناك أزمة في الفكر الفرنسي المعاصر، ولهذه الأزمة مظاهر متعددة يتصل بعضها بالسياسة أو بالاجتماع، ويتصل البعض الآخر بالأدب والأخلاق^(١٨٢).

يقول برجسون في (الضحك): كل حدية في الحياة تأتيها من حريتنا، إن المشاعر التي أنضجناها، والأهواء التي احتضناها والأفعال التي نفذناها، وأخيرًا ما يصدر عنا، وما هو ذاتنا ومالنا، هذا ما يعطي للحياة مسارها المأساوي أحيانًا والخطير عمومًا، فماذا يتوجب لتحويل كل هذا إلى كوميديا؟ يتوجب تصور أن الحرية الظاهرة تغطي لعبة خيوط، وأنا في هذه الدنيا، كما يقول الشاعر .. مجرد دمي، خيطها بين يدي الضرورة^(١٨٣).

إن المشكلات التي تنشأ بين الجبرية وأتباع مبدأ الحرية - كما يرى برجسون - ترجع إلى الخلط بين الديمومة والامتداد، بين التعاقب والتقدم، وبين الكيف والكم، وإذا ارتفع هذا الخلط فستختفي الاعتراضات الموجهة ضد الحرية، ولن تكون هناك مشكلة للحرية^(١٨٤).

وقد عالج برجسون مسألة الحرية من خلال عدة كتابات منها (حريتنا البشرية وصلتها بالآلية الكونية)، ويعني بذلك: هل البشر مخيرون أو مسيرون في أعمالهم في الحياة العاجلة^(١٨٥).

كما عرض مشكلة الحرية في (المعطيات المباشرة للشعور) ففي الفصل الثالث من المعطيات سيحل الخلاف الناشئ بين دعاة الحرية والجبرية، وسيقودنا البحث في مشكلة الحرية إلى الانتقال من ميدان علم النفس إلى الميتافيزيقا، وفي الفصل الثالث يتناول تنظيم الشعور أي (الحرية)^(١٨٦).

فما المفهوم الدقيق للحرية البرجسونية؟

إن الحرية، كما يتصورها برجسون، عين ديمومة الذات، والفعل الحر يصدر في الواقع عن النفس بأجمعها وليس عن قوة معينة.

"إننا لا نكون أحرارًا إلا عندما تصدر أفعالنا عن شخصيتنا بأجمعها، وعندما نعبر عنها، ويكون بينها وبين هذه الشخصية ذلك الشبه الذي نجده أحيانًا بين الفنان وإنتاجه"^(١٨٧).

تعقيب ← هنا نجد الشخصية البرجسونية في أعلى صورها حين تربط بين حرية الفن وحرية الفعل، خلط جميل يجمع بين الحرية في الفن كأبداع خلاق وبين الحرية كفعل إنساني محض.

ويستند في احتجابه للحرية^(١٨٨)، إلى أننا لا نستطيع أن نعبر تعبيراً موضوعياً عما لا نستوعب وجوده إلا بفعل معاناتنا له.

إذن الحرية - عند برجسون - ليست نتيجة لتكوين عناصر تركيباً ميكانيكياً، ولا هي خلق من عدم لا يمكن فهمه، ولكن لا بد لكي تكون أفعالنا حرة من أن يمتنع التكهن بها قبل وقوعها^(١٨٩).

إن الحرية عين صيرورة الأنا، والفعل الحر تقدم متصل يبدأ بضرب من العزم، وينضج مع النفس كلها إلى أن يصدر عنها كما تسقط الثمرة الناضجة من الشجرة^(١٩٠).

والحرية ليست لها ذلك الطابع المطلق، الذي تخلعه عليها النزعة الروحية أحياناً، ذلك أن الحرية درجات .. فقد أصبح معنى الحرية عند برجسون هو التلقائية وتبعاً لذلك فإن درجة الحرية لا تقاس بمقدار الروية والتفكير قبل الإقدام على الفعل، بل بمقدار عنف الانفعالات وعمقها^(١٩١).

ولذلك فالحرية هي علاقة النفس المتشخصة بالفعل الذي تحققه هذه العلاقة ولا يمكن تعريفها أو تحديدها، ذلك لأننا أحرار، وإذا كان في استطاعتنا تحليل شيء ما، فإنه لا يمكن بهذا الأسلوب نفسه أن نحلل مجرى شعورنا، فالحرية هي علاقة الذات الحية بالفعل الذي تحققه^(١٩٢).

(ج) علاقة الحرية بالزمان عند برجسون:

الإنسان موجود يعيش في الزمان، بل -أيضاً- موجود يعيش الزمان إن لم نقل بأنه هو الزمان نفسه، فالزمان هو نسيج وجودي، فحين أهب شخصاً جانباً من وقتي، فإنني أمنحه بضعة من نفسي، وكل لحظة من لحظات الزمان تأتي إلا أن تلحق بسابقتها^(١٩٣).

إن اتجاه الزمان، من حيث إنه حركة، يتم فيها الانتقال من المستقبل إلى الماضي، هو الذي يجعل الحرية قادرة على ممارسة فعلها، فالتعارض الكائن بين المستقبل والحاضر، وتحول هذا المستقبل إلى ماضٍ عبر الحاضر، هما الشرطان الأساسيان اللذان لولاهما لما استطاعت الحرية أن تحقق نشاطها.

إذن، في النهاية نرى أن الصلة وثيقة بين الحرية والزمان، لأن الحرية إمكانية لا نهائية تتطلب الزمان حتى تحقق ذاتها^(١٩٤).

ولذلك نجد أن برجسون انطلق من النقدي من مشكلة الزمن، ومنها اتجه إلى مسألة الشعور النفسي، ومن ثم إلى قضية الحرية، إذن يمكن اعتبار نظرية برجسون [عن الحرية] تجسيداً لمواقفه النقدية التحليلية من علم النفس وخاصة ما جاء به في كتابه (معطيات الشعور المباشرة)^(١٩٥).

والحرية عند برجسون ترتبط بالديمومة التي لا تعرف انفصالا في الحياة النفسية، والتي تؤلف وحدة لا يمكن تقسيمها إلى لحظات، فليس هناك آلية أو جبرية في النفس، إذ إن الديمومة كيف محض، والحرية عين صيرورة الأنا و(الفعل الحر) هو ما يصدر عن الأنا^(١٩٦).

وقد عاد برجسون إلى فكرة الحرية في محاضراته المشهورة عن (الشعور والحياة) فقال: إن الشعور معناه الاختيار، وإذا كانت خصائص المادة هي الجمود والضرورة، فإن خصائص الحياة هي التلقائية والحرية واستحالة التنبؤ^(١٩٧).

كما يؤكد برجسون على العلاقة بين الوعي والحرية.. فالوعي مرتبط بقدرة الكائن الإنساني على الاختيار بين المؤثرات المختلفة، وهذه القدرة بدورها مرتبطة بالقدرة على الاختيار بين سبل الفعل المختلفة^(١٩٨).

وهنا نرى أنه عند هذا المستوى من الوعي البرجسوني لا بد للحرية أن تنقسم لتعبر عن ذاتها بالمستوى الإيجابي أو السلبي.

إن الحرية عند برجسون^(١٩٩) تبدأ من ممارسة الفيلسوف لها ليتحرر من التصور العلمي، وليست هذه النظرة سوى محاولة سلبية تقف عند مستوى المنهج، أو تفترض مجرد الرفض والإنكار، ولا ترقى إلى الحرية الإيجابية الفعالة..

ولكننا نلاحظ أن فلسفة برجسون لم تنطلق من هذه الحرية السالبة، إلا من حيث إنها تقودنا إلى حرية إيجابية حقيقية، حيث تكشف لنا عن الزمن الحقيقي أو مجال الفعل الحر ومستوى التحرر الذي يدل على قدرة إيجابية تتطلب جهداً شاقاً متواصلًا.

ومن هذا المنطلق أكد برجسون على المسؤولية الفردية^(٢٠٠)، من حيث إن فكرة المسؤولية الفردية ليست على ما يظن من البساطة، إنها تتضمن تصور انفعالية الفرد مجرداً من التجربة، ونحن لا نعتبرها مستقلة إلا لأننا عزلناها عن الانفعالية الاجتماعية، فالآفات

الأخلاقية (إن صح التعبير) لها ما للآفات الجسمية من نتائج، إذ تنتشر فتصيب بالعدوى كافة أعضاء المجتمع.

(د) برجسون في مواجهة الآلية والحتمية:

بعد العرض السابق وإبراز موقف برجسون من الحرية، وتحيزه المطلق للحرية الإيجابية، وعلاقتها بالوعي الإنساني، كان لابد أن نستطلع موقفه المناهض للحتمية والجبرية، وكأن برجسون يعلنها على الملأ لا للآلية الطبيعية والسيكولوجية ونعم للفاعلية الإنسانية وسوف نعرض هنا هذا الموقف بجلاء..

إن أنصار الجبرية يشككون في قيمة هذا الشعور المباشر بالحرية، ولكن يجب أن لا ننسى أن إنكارهم للحرية يستند إلى فرض عقلي أو مصادرة عقلية لا إلى التجربة ذاتها^(٢٠١). والحتمية إما أن تكون طبيعة أو سيكولوجية (المذهب الترابطي)^(٢٠٢).

ويرى برجسون أن الفارق بين الآلية والغائية هو أن الغائية آلية مقلوبة، لأنها تضع النور الذي تزعم أنه يهدينا أمامنا، لا خلفنا، كما تفعل الآلية^(٢٠٣).

ومن هنا جاء موقفه الصريح من النظريات الآلية^(٢٠٤) Mechanistic theories ونقد الآلية من منطلق إدراك الزمان perception of time اعتماداً على تحليل فكرة الزمان كمدخل للآلية والفيزياء من حيث إن الزمان العلمي لم ينضج بعد does not endure.

إن دعاء الحرية^(٢٠٥) من الفلاسفة يقررون، على اختلاف مذاهبهم، أن الناحية الجوهرية من الحرية هي أن الإنسان الحر قادر على الاختيار بين عدة ممكنات تعرض للإرادة.. ولكن لا نعرف أي الممكنات ستختاره الإرادة، ومن ناحية أخرى دعاء الحتمية، بنوعها، (العلمية والسيكولوجية) ينكرون قدرة الإنسان على الفعل الحر إذ إن الآلية والعلية يكتنفان أفعالنا.

ولا يوافق برجسون^(٢٠٦) على تجديد جبري لحالات الشعور تنتفي معه الحرية، وهذا ما يحرص برجسون على تجنبه في (المعطيات المباشرة للشعور).

كذلك أُجبر برجسون على نقد التفسير العلمي^(٢٠٧) كمدخل للحرية الحقيقية، وذلك من حيث إن فلسفة بوترو هي إعداد مباشر لفلسفة برجسون مع تلاقي اتجاه برجسون مع اثنين من العلماء وهما بوانكاريه وبييردوهيم، فقد حاولوا أن يظهر أن العلم الحديث إن هو إلا تركيب صناعي ليست له قيمة مطلقة، فالنظريات العلمية، عند بوانكاريه، هي مجرد رموز نافعة يضعها العقل ليعبر عن العلاقات التي نشاهدها بين الظواهر، وبوانكاريه يرى هذه

النظريات مجرد تعريفات ولكنها ليست حقيقية. ولاشك أن الفيلسوف الذي أقام مذهباً روحياً، وعمل على دحض الآلية وتقرير الحرية الإنسانية من حيث هي واقعة مباشرة من وقائع الشعور الإنساني هو هنري برجسون.

وخلاصة الآراء إن الجبرية الفيزيقية^(٢٠٨) تريد أن تطبق على الظواهر الفسيولوجية عامة والعصبية خاصة قانون بقاء الطاقة، ونرى أن الظواهر يمكن تحديدها مقدماً بمقتضى معرفتنا للأوضاع التي تتخذها كل ذرة من ذرات المادة المخية.

والحقيقة النهائية عند برجسون هي الوعي^(٢٠٩)، حيث ينظر إلى المادة على أنها مجرد تعطيل interruption، وفلسفة برجسون تختلف عن الأنساق المثالية، وخاصة في نظرتها إلى واقعية الزمن reality of time، وأن الزمن هو الواقع النهائي ultimate reality، والتفكير الخاطيء في العلم والفلسفة يأتي من إنكار الشعور أو اللاشعور.

وفي الحقيقة إن الهدف من دراسة الحرية عند برجسون^(٢١٠) هو أن يبين لنا أنه إذا كان الخلاف قد ظل مستعصياً بين أنصار الحرية ودعاة الحتمية، فذلك لأن المشكلة لم توضع وضعاً صحيحاً نتيجة خلط الفلاسفة بين الديمومة والامتداد، بين التالي والتآني، بين الكيف والكم.

(هـ) نقد الحتمية السيكلوجية:

إن سيكلوجية تداعي الأفكار تقودنا إلى الحتمية السيكلوجية التي ترى أن العلل تحدث في معية بعضها البعض، وتعتبر الزمان خطأً يخترق المكان، وهي تنفي وجود الحرية^(٢١١).

وما دما قد رفضنا كلاً من الحتمية الطبيعية والحتمية السيكلوجية فلم يبق لنا سوى أن نلجأ إلى شهادة الشعور كما فعل ديكارت ومين دي بيران^(٢١٢).

ومن المعروف أن الحتمية السيكلوجية^(٢١٣) تعتمد على معتقدات المذهب الارتباطي، وهذا المذهب يرى أن حياتنا العقلية عبارة عن آفات متعاقبة، كل آن فيها نتيجة للآفات التي سبقته وعلة لما يتبعه. مما يؤكد على فكرة الشدة^(٢١٤) في الحالات النفسية وعلاقتها بالحرية.

ولذلك فإن خطأ دعاة الحتمية السيكلوجية خطأً فاحشاً إذ يقررون صراحةً بإمكان التنبؤ بالفعل الحر، إذ إن الخاصية الأساسية لأي فعل حر أنه تقدم كفي، وبناء على ذلك، لا يمكن التنبؤ به^(٢١٥).

ويدحض برجسون الحتمية السيكولوجية ويرى أن الصعوبات التي نجمت في مسألة الحرية سواءً عند الجبريين أو خصومهم ترجع، في نهاية الأمر إلى الخلط بين الزمن المتصل الذي هو ديمومة محضة، وبين الزمن الآلي الذي نتصوره، كالمكان، وسطاً متجانساً^(٢١٦).

ولذلك يقول برجسون: "لقد تحررنا من سلطان الجبرية، ومن علم النفس الفيزيائي، الذي يحاول أن يقيس حدة الحالات الوجدانية، على حين أن الحدة هي الأخرى مقياس ومن الصعب تطبيق المقاييس في هذا المجال، وإذا أنكر الفلاسفة القائلون بالحتمية وبتداعي الأفكار الحرية، فلأنهم يفككون الوجدان تفكيكاً مزدوجاً في الزمن الذي يتحول، في نظرهم، إلى نوع من المكان، لأنه، في اعتبارهم، تلاصق ومجاورة"^(٢١٧).

(و) نظرة نقدية للحرية البرجسونية:

يقول د. زكريا إبراهيم^(٢١٨): "وكان الحرية عند برجسون لا تخرج عن كونها (شيئاً) أو نتيجة تترتب على بعض الأحداث السابقة .. كما يرى البعض أن الحرية، عند برجسون، ليست إلا صورة من صور الضرورة، أو هي، على وجه التحديد، (ضرورة عضوية، باطنة، مستمرة)"^(٢١٩).

إذن لم يفلح برجسون في إثبات الروح والحرية، أجل إن امتناع الظاهرة النفسية عن القياس يدل على أنها صادرة عن مبدأ مغاير للمادة، ولا يدل على أن هذا المبدأ مفارق للمادة^(٢٢٠).

٦- تأسيس الأخلاق البرجسونية:

(بفرضيات برجسونية وحده زمني)

(أ) الوجه العام للأخلاقية:

إن الفلسفة الأخلاقية هي دراسة نظامية للطبيعة الأخلاقية، وعندما ندرس هذه الطبيعة في بعض الأشياء، فنحن نتعلم حقائق جديدة، كما لو كنا لم نعرف شيئاً قبل أن نبدأ في الدراسة، وكل مجتمع يبحث عن طبيعته الأخلاقية ويبحث في أهمية الأخلاقية، فكيف - إذن - يمكننا أن نتصور أخلاقيتنا وسلوكنا الأخلاقي بوجه عام؟^(٢٢١)

وهل للمشاعر والعواطف دورٌ في الأخلاق؟^(٢٢٢)

إذن يجب علينا مناقشة الأخلاق من زاوية (كيف يجب أن نعيش)، أو كما قالها أفلاطون (ما يجب - الصواب)^(٢٢٣).

وهنا يمكن القول إنه من شأن علم النفس تفسير السلوك، ولكن ليس من شأنه الحكم عليه لتبريره أو لإدانتته، فهاتان العمليتان الأخيرتان من شأن علم الأخلاق، ولكن التفسير النفسي للسلوك يمكن أن يؤثر في أحكامنا الأخلاقية عليه^(٢٢٤).

إلى جانب الشأن النفسي في الأخلاق، هناك الشأن الزمني في الأخلاق - من حيث إن خلاص الإنسان الزمني، وهدف التكريس لمهمة تحرير الإنسان من اغترابه ويؤسه، وتهيئة مستقبل يتسم بالحرية والسعادة، تبدو مهمة كامنة، تستدعي الإنسان إلى الالتزام بها التزامًا كاملاً^(٢٢٥) وهنا يجب المعالجة الموضوعية لحدود الالتزام الأخلاقي والمسئولية الأخلاقية^(٢٢٦).

وأخيرًا نتناول الأخلاق مشكلة هامة هي أحكام القيمة Value Judgments ومشكلة الحكم الأخلاقي وعلاقته بمستوى الأخلاق عامة - أي نظرية التقييم الأخلاقي^(٢٢٧).

(ب) تأسيس الأخلاق البرجسونية (الأبعاد والفرصيات):

في البداية يتحدث برجسون عن العلاقة بين نظام الطبيعة ونظام الأخلاق، فيرى أن كافة الظواهر تميل بنا إلى الاعتقاد بأن هذا النظام شبيه بنظام الطبيعة، فالمرء وإن لم يأخذ بالقواعد الأخلاقية التي تتضمنها أحكام القيم، فإن يظهر بمظهر من يراعيها ويعمل بها، وكما أننا لا ندري في الشارع أثر للمرض، فكذلك لا نقدر ما قد يخفى من اللاأخلاقية^(*) وراء الجانب الذي يبديه لنا الناس من نفوسهم^(٢٢٨).

والسؤال: هل الأخلاق عند برجسون أخلاق عاطفة أم أخلاق عقل؟

يرى برجسون أن السؤال عن أصل الأخلاق هل هو العقل المحض؟ هو سؤال غير صحيح: إن السؤال الضخم هو أن نعرف لماذا نكون ملزمين، في الحالات التي لا يكفي فيها القيام بالواجب، أن نرخي لأنفسنا العنان؟ أنا لا أسلم بأن العقل هو الذي يتكلم في هذه الحالات^(٢٢٩).

وإذا كان للانفعال (العاطفة) مجال في الأخلاق، فليس معنى ذلك أننا أسسنا أخلاق عاطفة، فإن الانفعال، الذي تحدثنا عنه، قد لا يتبلور في تصورات عقلية، فيغدو مذهباً أخلاقياً، فلا تستطيع أن تستنتج الأخلاق من هذا المذهب، وكذلك الأمر في كل مذهب آخر^(٢٣٠).

ومن هنا جاء رأي برجسون في المرأة وعلاقتها بالعقل والانفعال: إن المرأة ذكية ذكاء الرجل، ولكنها أقل منه قدرة على الانفعال، وإذا كان لها شيء أقل نماء مما للرجل، فليس

هو العقل بل العاطفة، ولكننا لا نقصد بالحساسية تلك القلقة السطحية بل ذلك الانفعال العميق^(٢٣١).

هل الأخلاق البرجسونية أخلاق نفعية؟

يرى برجسون في حالة الأنانية مثلاً: إنها بالنسبة إلى شخص يعيش في مجتمع، تتضمن حب الذات، ولكنها تقتضي - كذلك - الرغبة في السمعة الطيبة، حيث إن المنفعة الشخصية الصرف تكاد يستحيل تحديدها، إذ يدخل فيها كثير من المصلحة العامة، فيصعب عزل المصلحتين عن الأخرى^(٢٣٢).

إذن المجتمع - عند برجسون - هو الذي يرسم للمرء منهاج حياته اليومية، والمرء في حياته مع أسرته، وفي مزاولته مهنته، وفي كل أمر من أمور حياته اليومية^(٢٣٣).

وإن العقاب، الذي يفرضه المجتمع، قد يقع على بريء، وقد ينجو منه مجرم، وقلمما تثاب في المجتمع على العمل الطيب، فنظرالمجتمع ليس بمرهف، وهو يرضى باليسير، وليس ثمة قسطاس إنساني يزن العقاب والثواب كما ينبغي أن يوزنا^(٢٣٤).

وهنا يتساءل برجسون عن فائدة التعليم الأخلاقي فيقول: إننا لا ننكر فائدة وضرورة تعليم أخلاقي يتجه إلى العقل المحض ويحدد الواجبات، ويربطها بمبدأ نستنتج منه شتى التطبيقات تفصيلاً، إنما المناقشة تكون على مستوى العقل، والأخلاقية لا تكون كاملة من غير تفكير مع الآخرين، ومع الذات^(٢٣٥).

ومن هنا جاء قول بوليتزيد: أن مناهج القياس الاجتماعي (السوسيومتري) أثرت فيها فلسفة برجسون تأثيراً حاسماً، وهذا ما أكده (مورينو) وخاصة في كتابه الهام Who Shall Survive^(٢٣٦).

(ج) مكانة المذهب الحدسي والزمان في تشكيل أخلاق برجسونية:

إذا تحدثت عن نفسك مع نفسك، وإذا أردت -مخلصاً- أن تجد في نفسك (المعطيات المباشرة للوعي)، فلا بد لك من أن تصطنع الحدس الخالص^(٢٣٧).

تعقيب ← وكأن الفقرة السابقة تتادي بأعلى صوت للإنسان بأن: اصنع -نفسك بنفسك بالحدس = اعرف نفسك بنفسك بأخلاقك وحدسك وبمفهوم برجسوني خالص.

ويعتبر الضمير، عند الحدسيين، المبدأ الأسمى للأخلاقية، وبه تصبح معرفة الخير والشر معرفة قصوى كامنة في طبائع البشر، ويطلق على المبادئ التي نتوصل إليها، عن طريق هذا الإدراك الحدسي، مبادئ الفهم المشترك^(٢٣٨).

ويقول برجسون: للأسف إن اللغة تجمع تحت اسم واحد أشياء متباينة كل التباين: فأى شبه بين تأنيب الضمير الذي يشعر به القائل، وبين تأنيب الضمير الملح المرهق الذي قد نشعر به حين نُمس كرامة أحد، أو حين يُظلم طفلٌ ما^(٢٣٩)؟

والأخلاق ترتبط -أيضاً- بالزمان والديمومة: يرى ميشيل فوكو أنه توجد اختلافات تتعلق بما يمكن تسميته "غائية الذات الأخلاقية"، لأن الفعل لا يكون أخلاقياً في ذاته وتميزه فقط، إنما هو أخلاقي -أيضاً- في اندراجه ضمن سلوك عام والموقع الذي يحتله فيه، إنه أحد عناصر ومظاهر هذا السلوك ويعبر عن مرحلة ما في مدته وعن تقدم احتمالي في (دوامه) ينزع الفعل الأخلاقي إلى تحقيق اكتماله^(٢٤٠).

وسوف نتبين - بصورة أكثر وضوحاً - التغيير والحركة عند برجسون في الأخلاق عند مناقشتنا لنوعي الأخلاق عنده.

وإذا قبلنا وجهة نظر برجسون^(٢٤١) وتابعيه عن التطور الخلاق، فسوف يكون الفعل الصحيح هو واحد من الأساليب المعبرة عن الدافع الخلاق الموجه صوب اتجاه معين. مما يؤكد على علاقة الفعل الأخلاقي بالطابع الحيوي.

ولذلك نجد في (جدلية الزمن)^(٢٤٢) من لا يؤيد برجسون عندما يريد أن يخل بتوازن جدلية الأحكام الموجبة والسالبة فيملاً الفكر بالقيم الإيجابية التقريرية الممتلئة والكاملة بدورها. **يقول بينهيروودوس سانتوس^(٢٤٣)** "إن التوازن الإيقاعي للإصرار الأخلاقي ولطافة القلب هما قانون الحب وتعبيره بالذات".

وهنا نصل إلى ما هو جديد عند برجسون على المستوى الأخلاقي وهو (جاذبية الأخلاق).

فيرى عند بعض الضمائر الخارقة للعادة اختراع تهذيب - اختراع محبة - اختراع تضحية - اختراع بطولة - العدالة - الصلاح، تتوهج هذه الأعمال في سماء الأخلاق ويماس أصحابها بمنتهى الصالح نوعاً من الجاذبية المدهشة^(٢٤٤).

تعقيب ← نلمس هنا للأخلاق جاذبية عميقة كجاذبية الوجه الجميل والطبيعة الجميلة، وكأن الأخلاق تضيء على الشخصية أبعاداً جديدة من الدهشة والإعجاب والتأمل والبحث

في باطن الشخصية المدهشة .. إنه النور الأخلاقي - إن صح التعبير .. إنها الوثبة المفاجئة والحيوية الدافئة التي تشع من الشخصية الإنسانية، فتجعلها مختلفة عن غيرها.

(د) الضحك البرجسوني (مفهوم أخلاقي):

وهنا يعالج برجسون فوائد الضحك فرديًا واجتماعيًا، كما يعالج وظيفة الضحك وعلاقته بالغرور والخجل والتكبر والانفعال، وحتى علاقته بالجنون^(٢٤٥).

والضحك له وظيفة اجتماعية .. إن الضحك يجب أن يتجاوز مع بعض متطلبات الحياة المشتركة. إن الضحك يجب أن تكون له وظيفة اجتماعية واضحة^(٢٤٦).
"لا يكون مضحكًا كل ترتيب للأفعال وللأحداث يوحي لنا وهماً بأن الحياة قد بدت ضمن الترتيب الميكانيكي"^(٢٤٧).

والضحك كما يقول د. عبدالرحمن بدوي في موسوعته: "لا ينسب فقط إلى [علم الجمال المحض]، لأنه يسعى لاشعوريًا في كثير من الأحوال الخاصة لا أخلاقيًا أيضًا إلى غرض نافع في الإصلاح العام والتكميل، وبالجملة فإن الهزلي هو الآلي المصوب على (الحي)، أي أن ما يثير الضحك هو أن يتحول ما هو حي إلى ما يشبه الآلة"^(٢٤٨) ..

(هـ) الأخلاق المفتوحة والأخلاق المغلقة (ثانية أخلاقية عميقة):

ينبوعا الأخلاق: الغريزة والحدس، وفي كل من هاتين الوظيفتين توجد أخلاق معينة ودين معين، فيكون هناك نوعان من الدين، ونوعان من الأخلاق^(٢٤٩).

وإن كلاً من الأخلاق المغلقة والمفتوحة يعتبران مظهرين للنشاط الحيوي نفسه، ويكمل كل منهما الآخر^(٢٥٠). والأخلاق الأولى علة وجودها البنية الأصلية للمجتمع الإنساني، وعلّة الثانية المبدأ الذي أوجد هذه البنية^(٢٥١).

وبين النفس المغلقة والمفتوحة هنالك النفس التي تتفتح بين سكون الجالس وحركته حين يركض، هنالك حالة النهوض والوقوف بين السكون والحركة، في الأخلاق هنالك حالة الانتقال، وهذه الحالة الوسيطة قد لا نشعر بها^(٢٥٢).

وتتعلق الأخلاق المفتوحة والمغلقة بالمجتمع نفسه .. إن المجتمع إنسانياً أو حيوانياً، إنما هو نظام، لأنه ينطوي على اتساق وترتيب، ويقضي بخضوع العناصر بعضها لبعض، إنه جملة القواعد والقوانين، إما أن يحياها المجتمع من غير أن يشعر بها، وهذا هو شأن المجتمع الإنساني، غير أن الفرد في خلية النحل، أو قرية النمل مشدود إلى وظيفته بحكم طبيعته، والنظام في هذه الخلية يكون ثابتاً بلا تبديل، في حين أن المجتمع الإنساني (متبدل الشكل) مفتوح لكل أنواع التقدم^(٢٥٣).

كما أن الفرق بين العاطفتين، عاطفة التعلق بالوطن، وعاطفة محبة الإنسان هو الفرق بين المجتمع المغلق والمفتوح^(٢٥٤).

والنفس المنفتحة تشمل الإنسانية كلها ولا يمكن أن نوفيها حقها، فإن حبها ليمتد إلى الطبيعة كلها، فينال الحيوان ويشمل النبات، وصورتها ليست متوقعة على مضمونها^(٢٥٥).

إذن فالأخلاق المفتوحة إنسانية لا اجتماعية، ولا تصل إلى الإنسانية بتوسيع المجتمع، لأن الفرق بين الأخلاق الاجتماعية والأخلاق الإنسانية فرق في الطبيعة لا في الدرجة، فهذه الأخلاق هي التي نفكر فيها عادة - حين نشعر أننا ملزمون إلزامًا طبيعيًا^(٢٥٦).

والأخلاق المفتوحة تعني الشعور بانفعال جديد هو ينبوع لكل الابتكارات العظمى في الفن والعلم والحضارة الإنسانية، وهذا الابتكار ليهز كيان النفس هزًا عنيفًا^(٢٥٧).

ويتفق فيلسوف الدين الروسي (برديائف) في هذه الأخلاق مع برجسون، وأن مستوى الأخلاق هنا ليس هو مستوى القانون أو مستوى الغاية والهدف إنه يبحث في الابتكار والخلق^(٢٥٨).

إذن يدعونا برجسون باستمرار إلى البحث عن الأخلاق المفتوحة، وذلك للتححرر من قيود المادة، فتتفتح الأخلاق أمام إمكان جديد متحرر أكثر من قيود المادة^(٢٥٩).

(و) مقولات أخلاقية بنظرة برجسونية:

إن تآلف الزمن الطبيعي مع الزمن البيولوجي يؤدي - عادة - إلى الحفاظ على المخلوق الذي يحترم هذا الزمن .. إن كل شيء يسير وفق برنامج زمني محدد، فتتآلف المخلوقات، وتتناغم العمليات، وتعزف الأوتار غير المنظورة سيمفونية الحياة^(٢٦٠).

ومن هنا جاءت دعوة برجسون إلى الاعتدال في السعي وراء الملذات والكماليات وضروب الترف، ويرى أن العودة إلى (البساطة) هي العلاج الوحيد^(٢٦١).

وهذا ما جعل برجسون - وفي الإطار السابق - يعالج الكثير من قضايا الأخلاق كقضايا الخير والشر، والفرح والحزن، والشفقة، والواجب، والطيبة والعدالة.

فما موقف برجسون بصدد الخير والشر؟

إذا كان الزمان والشر حدين أليمن من حدود الوجود البشري، فإن الموت هو تلك الصخرة العاتية التي طالما تحطمت فوقها آمال البشرية، أليس الموت هو الذي أنطق شكسبير عباراته الخالدة التي يقول فيها على لسان ماكبث: "إنما الحياة ظلال شاردة، ممثل

تعيس يظل يهذي ويصرخ على خشبة المسرح إلى أن ينتهي دوره، فلا يعود أحد يسمع صوته، بلى إنما هي الحياة" (٢٦٢).

وقد ذهب الحدسيون إلى القول بأن الإنسان يدرك خير الأفعال وشرّها إدراكاً مباشراً بمجرد النظر إلى الأفعال، فالأفعال خير أو شر بالقياس إلى خصائص طبيعتها الباطنية الذاتية، فقول الصدق واجب؛ لأن الصدق، في ذاته، فضيلة (٢٦٣).

ولذلك يعتبر برجسون (كفيلسوف حدسي) مسار الشر مهما كان تحليله للديمومة دقيقاً، إن الوثبة دون شك عندما تتطلق تعرض ديمومة في توافق مع القوانين الفيزيائية والفسولوجية، وهي قوانين تتحكم في مجموعات معقدة، ولكن قبل عملية التسلسل المعقدة توجد اللحظة البسيطة والمجرمة للقرار (٢٦٤).

أما بالنسبة للانفعالات العميقة كالفرح والحزن فيرى برجسون أن حالات الشعور العميقة تكفي نفسها بنفسها كالفرح والحزن العميقين والانفعالات الجمالية ويعطي لنا برجسون أمثلة لشدة الانفعالات العميقة الاستثنائية:

١- إن الفرح الباطني الخالص هو انفعال شديد يبدأ من حالة أولية للفرح إلى أن يسيطر على كل إحساسنا.

٢- تحليل حالات الحزن من حيث إنها اتجاه نحو الماضي وشعور بضالة أفكارنا وإحساساتنا (٢٦٥).

كما يرى برجسون صعوبة تحديد الألم والفرح، لأن الحياة النفسية الداخلية معقدة، دائمة التغير، وليس لها وحدة متميزة ثابتة تصلح أن تكون مقياساً، وكذلك الحال بالنسبة للحزن (٢٦٦).

تعقيب ← هنا نرى، بوضوح، تطبيق مفهوم النسبية البرجسونية، فحالات تدفق الشعور مختلفة من فرد لآخر .. وحتى بالنسبة للفرد الواحد.

إذن، وكما يرى برجسون -هناك علاقة بين أخلاق المتعة والحزن بالديمومة والحركة - ونكتشف ذلك عندما نحاول أن نتعرف على طبيعة ازدياد (شدة أو إفراط) المتعة والحزن، وخاصة في الحالات الاستثنائية، حيث لا يوجد توسطات لدليل (عرضي) طبيعي وإن حركتنا تتبع مجهودنا نفسه .. وفي النهاية نجد في حالات الفرح والسرور أن إدراكاتنا وذاكرتنا perceptions and memories أصبحت غير محددة الكيفية، ولكن يجب أن يُنظر إلى الصراع على أنه بلا جدوى، ولا يمكن أن يجعلنا سعداء (٢٦٧).

كما يتحدث برجسون عن الضحك وعلاقته بأخلاق الطيبة.. إن الضحك حين يقمع المظاهر الخارجية لبعض العيوب يدعونا - بالتالي -، ومن أجل خيرنا الأكبر، إلى تصحيح هذه العيوب في أنفسنا وإلى تحسين الباطن، ولكن في الوقت نفسه إن الضحك يضرب دائماً فيصيب، ولا يوجي بفكرة المحبة والرحمة أو حتى العدالة^(٢٦٨).

ويتحدث أيضاً-برجسون عن انفعال أخلاقي آخر هو الشفقة، ومعناها أن نضع أنفسنا موضع الضعفاء والمحتاجين الذين ألتمت بهم الكوارث، وإذا كانت الشفقة لا تتضمن سوى هذا المعنى فقط، فإنها ستثير الاشمئزاز في نفوسنا، ولكنَّ عاملاً جديداً يتدخل، هو رغبتنا في مشاركة الآخرين ومواساتهم، إن هذا التواضع ينطوي على شعور إنساني رائع نبيل، ولذلك فإن الشفقة تشير إلى تقدم كفي من الاشمئزاز إلى الخوف، ومن الخوف إلى المشاركة، ومن المشاركة إلى التنزل أي التواضع، وكل هذه الحالات متميزة، وليست تزايد في شدة انفعال واحد^(٢٦٩).

إذن هناك حالات نفسية - كما يرى برجسون - ننفعل منها منذ أن نعرفها، هناك أفراح وأحزان نتألف معها، وهناك أهواء وعيوب تثير الاستغراب المؤلم، أو الرعب أو (الشفقة) لدى الأشخاص الذين يتألمونها، كل هذا يهم جوهر الحياة، وكل هذا جدي وأحياناً مأسوي^(٢٧٠)..

كذلك العدالة Justice مفهوم أخلاقي هام اهتم برجسون بتناوله.

يرى برجسون أن الأفكار الأخلاقية متداخلة، ولكن العدالة أصلها للدرس لأنها - أولاً- تشمل سائر الأفكار الأخرى وثانياً تعبر عن ذاتها، عن غناها الأوفر بتعابير أبسط، ولأنها -أخيراً-تجمع بين صورتها الإلزام منطويتين إحداهما في الأخرى، فالعدالة في كل الأزمنة تثير في ذهن أفكار المساواة والتعويض^(٢٧١).

كذلك نجد لبرجسون نظرة خاصة جداً للغرور Self-Conciety حيث لا يعتقد في وجود عيب أكثر سطحية وأكثر عمقاً من الغرور، إن الجراح التي يسببها الغرور لا تكون -إطلاقاً-خطيرة، ومع ذلك فهي لا تريد أن تشفى، والخدمات التي يؤديها هي أكثر صورية بين كل الخدمات .. الغرور بذاته قلما يكون عيباً^(٢٧٢).

كما ينظر برجسون إلى الواجب نظرة مغايرة .. الواجب يتحقق تحققاً آلياً، حتى ليكن القول بأن الخضوع للواجب يكون، في معظم الحالات، بأن يرخي الإنسان زمام نفسه، ويستسلم لها، غير أن طاعة الواجب تبدو حالة من التوتر والواجب يبدو للإنسان أمراً قاسياً صلباً، فما السبب في ذلك؟^(٢٧٣)

السبب أن ثمة حالات تقتضي فيها الطاعة مقاومة الذات، وإن كانت نادرة إلا إنها ملحوظة.

(ز) الفن والجمال نظرة برجسونية أخلاقية:

إن عالم الإنسان هو العالم الأخلاقي، الذي يعرف الحقيقة والقيمة والمثل العليا، ولكن العالم الإنساني - وكما يراه زكريا إبراهيم - هو أيضًا عالم الكذب، والتضليل، والنفاق، والتناقض الوجداني، وخداع النفس والآخرين.. فقد قال أحد الباحثين في علم النفس الحيواني (إن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يستطيع أن يكذب)^(٢٧٤).

والسؤال: ما الموقف الجمالي من قضايا الأخلاق؟

إن الشرح الفني يصاحبه بعد وجداني لكثير من المواقف الاجتماعية والتاريخية والإنسانية التي تتسم بالإيقاعات الزمنية وفوارق الأحوال، ويقتضي تقديرها والحكم عليها وجود حسي زمني وجداني حضاري وتاريخي^(٢٧٥).

وهنا يرى برجسون وجود علاقة قوية تربط الزمان بالجمال كما تربطه بقيم الخير والشر، إلى جانب الاختلافات الكمية والكيفية للقوة أيضًا^(٢٧٦).

وهنا يؤكد برجسون على العلاقة بين المشاعر الجمالية Aesthetic Feelings والسعادة، والعواطف الأساسية، ويعتبرها ليست أكثر من أفعال الطبيعة، ويربط كل ذلك بالعواطف الأخلاقية، وإذا كانت عواطفنا تخضع للتحليل النفسي Psychological analysis، فإن مشاعر الجمال تفترض وتسلم أيضًا بوجود درجات لها^(٢٧٧).

ويستخدم برجسون فن الموسيقى للتعبير عن أفكاره، وهي ارتباط الموسيقى بالأخلاق.. إن الموسيقى تثير فينا انفعالات معينة من فرح وحزن وشفقة وعطف، وإن هذه الانفعالات قد تكون شديدة، وإنها بالنسبة إلينا تامة رغم أنها ليست متعلقة بشيء، وقد يقال هنا، ولكننا هنا في ميدان الفن، لا في ميدان الواقع وانفعالنا ضرب من اللعب، وحالتنا النفسية حالة خيالية محضة^(٢٧٨).

إن الذين يقولون ذلك ينسون أن الفرح والحزن والشفقة والعطف، إنما هي كلمات تعبر عن كلمات نضطر للرجوع إليها إفصاحًا عما نشعرنا به الموسيقي، وكل موسيقى جديدة تتحد بها عواطف جديدة خلقت بها وفيها^(٢٧٩)..

(س) التطور والتقدم عند برجسون: (الحياة والتطور - منظومة برجسونية بامتياز)

لا يمكن لنا بأي حال من الأحوال إغفال لحظة التطور والتقدم والاندفاع في فلسفة برجسون فيلسوف الوثبة الحيوية، والانطلاقة، والأخلاق المفتوحة، والمجتمع الذي يرى العالم من حوله بعيون مفتوحة ونظرة ارتقائية .. ومن هنا كان يجب معالجة هذه الفكرة كنتيجة نهائية بل ومنطقية لكل ما سبق عرضه.

إن التطور عند برجسون ليس سلسلة من التكيفات مع الظروف الخارجية، ولا هو تحقيق لمقصد كلي محدد من ذي قبل، ولكنه تعبير عن حركة حيوية .. إذن لا نستطيع قبول مبدأ التطور إلا إذا افترضنا وجود وثبة حيوية Élan Vital تكون بمثابة دفعة باطنية تحمل الحياة بين طياتها متقلبة بها عبر صور متعاقبة^(٢٨٠).

ولذلك فإن مقولة التطور تتبع من مقولة الكيفية، فالتطور في المذهب البرجسوني على الضد من التطور عند سبنسر، إنه لا ينحصر في الانتقال من اللامتشابه إلى المتشابه، وإنما هو ينحرف نحو اللامتشابه والخلق والإبداع^(٢٨١).

وفي الحقيقة إن نظرية برجسون في التطور هي نظرية الدفع الحيوي، وقد قسم نظام الدفع الحيوي إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى ← من الخلية الأولى وانتهى في شعبة الحشرات، ولم يتقدم منذ آلاف السنين.

المرحلة الثانية ← تقفز من مرحلة الحشرات إلى مرحلة الفقريات بعد مخاطرة كبيرة.

المرحلة الثالثة ← كانت القفزة من مرحلة الغريزة الحيوانية إلى مرحلة الإنسان العاقل، الذي يشكل رأس سهم اتجاه شجرة الحياة عند داروين^(٢٨٢).

ولذلك يقول برجسون في (الضحك) تبدو الحياة كأنها تطور في الزمان، وكأنها نوع من التعقيد في الفضاء إذا نُظر إلى الحياة من حيث الزمان فهي (التقدم المستمر) في كائن يشيخ باستمرار، وهذا يعني أنها لا تعود إلى الوراء^(٢٨٣).

ومن هنا تأتي قيمة الحرية عند برجسون في التطور فإذا كان التطور لا ينطوي على الانزلاق نحو التشابه، وإنما هو التباين (فالضرورة مسلوقة)^(٢٨٤). وهنا يجب النظر إلى ما ينبغي أن يكون، وما هو موجود بالفعل في منظومة التطور^(٢٨٥). كما يأتي الدور الهام للتفاوتية في العملية التطورية من حيث إن التفاؤل هو الاقتناع بالسببية والتطور. وأساس

التفاؤلية هو المنتظم والقانوني regular وهي التي تحدد التطور في الوجود، وعلى الجانب الآخر فإن التفاؤل يوجد في الاقتناع بالتطور المنتظم مع تحديد الإنسان لأهدافه، وأن يعي نشاطه بدقة^(٢٨٦).

وأخيراً يجب الإشارة إلى أن النزعة التطورية البرجسونية قد تأثرت تأثراً كبيراً بالفيلسوف الفرنسي مين دي بيران إنه فيلسوف التطور، والذي يرى أن التطور ليس نموًا بمعنى الإضافة والاكتمال وإنما، بعكس ذلك، نمو باطني. إن صح القول^(٢٨٧)..

نتائج البحث

- "إن ما نتمنّاه، تأتي صياغته واضحة، والكلمات التي تقوله تظهر فينا طائعة".
(الشاعر الفرنسي بوالو)

- يقول إيفون: "لا يوجد فيلسوف واحد لا تشتمل كتاباته على زلة التناقض".

١- عن برجسون:

سؤال: هل برجسون كان غامضاً كما يرى البعض؟؟

أو بمعنى آخر هل كان الغموض يكتنف عبارات برجسون الفلسفية؟ هل كان غير واضح في تعبيراته؟ هل غاب عنه التحليل والمنطق والفكرة الفلسفية العميقة؟

الإجابة: النفي لأن كل ذلك مردود عليه .. إن برجسون لم يكن غامضاً في عباراته وتعبيراته، لأنه كان أدبياً يتمتع بحس أدبي وأسلوب بليغ مرهف الحس بالكلمة المصاغة، ولذلك فإن من يقرأ برجسون فلسفياً وأدبياً، لن يجد في ذلك غموضاً ولا التباساً يُذكر ..

وهذا هو طبع الأدب (عشق الكلمة) الأدب الذي ينبع من رقة مشاعر الفنان ورهافة حسه .. أما القول بغياب التحليل والمنطق (فهو ليس له محل من الإعراب) لماذا؟ لأن برجسون فيلسوف التحليل والمنطق والإقناع والأدلة وإلا لما توصل إلى هذه النتائج والأقيسة المنطقية في علاجه للمشكلات الزمانية وعلاقتها بالأخلاقية، وليس هذا بغريب على أي فيلسوف متأدب مثل برجسون.

وفي النهاية: يقدم لنا برجسون صورة جديدة للفهم الإنساني من خلال صورة جديدة للفهم الزمني الذي كان بمثابة زلزال له توابعه وأثاره الأخلاقية، ليس هذا فقط بل يحمل في داخله عنصر إبداعه وابتكاره.

- وربما كان البحث عن الباطن، وتأمل الإنسان من الداخل هو ما جعل فلسفة برجسون فلسفة فنية مفعمة بالنشاط الداخلي، أخذة في مضامينها وبوحها وشفافيتها.

- إن برجسون - كما نرى - هو السيكلوجيا الماورائية التي تربط الفكر بالعمل والميتافيزيقا، وتجعل الفلسفة (خلطة سحرية) غير متوقعة من فيلسوف أصر على فلسفة (الصدمة الأولى) وإن تلتها صدمات فلم يكن لها -أبداً- وقع الصدمة الأولى نفسها أو الحدس الأولي لأنها اعتادت الصدمات وتبسطت في تعاطي الخوف.

- وإذا كان الظاهر والباطن في الإنسان وحدة واحدة، فإننا نرى أن هذه العلائقية ترجع إلى برجسون، حيث قام بتكبير الصورة وبلورة علاقتها عن طريق الكشف الحقيقي .. إنه الحدس البرجسوني الخلاق - المبدع، والذي يضرب بجذوره في عمق العلاقة لتوليدها من جديد (إنها الجدة البرجسونية).

- برجسون: هو الصدق. عندما يصدق الفيلسوف في فلسفته، فإنه يبدع العالم كله على شاكلتها، ولذلك فقد صدق برجسون وصدق ديمومته فجعل العالم يسير في ديمومة عالم الفيزيكا والميتافيزيكا، عالم القيم وعالم الحرية عالم الإنسان وعالم الحيوان، عالم الزمان وعالم المكان، وبالتالي عالم التقدم والتطور والقفزة إلى الأمام دومًا..
- إنه التوجه المحض إلى الذات الإنسانية بكل عفوية وتلقائية وبساطة، ورغم ذلك فقد توصل، بمنتهى الأريحية، إلى ما يعرف بالتحقق الذاتي self realization.

٢- عن الزمان البرجسوني:

- إن الزمان ذلك العالم المدهش wonderful world، إنه لحظة الانبهار بالتغير والقفزات. ومن منطقي هذا أرى أنه يجب أن يُنظر إلى الزمان من زاويتين مختلفتين المثالية idealism والواقعية Realism بل يجب -أيضًا- أن تكون عيوننا متعلقة بالإبداع الوجودي في الزمان.

- قيمة الزمان - عندي - أنه حلقة الوجود، والسؤال ما الذي يفصل بين طفولتين، براءتي عنفواني وبينني الآن .. إنه الزمان إنها العلاقة بين الحلم dream والفعل action، فلا أستطيع أن أتخلى عن طفولتي، وليس بمقدوري أن أعزل عن فعلي وحاضري الآن، إنها للأسف أزمة الإنسان دائمًا.. فهل يمكن أن توجد قطيعة في الزمان؟
- لا، لأنه حلقات متصلة، فكل فعل هو أن من آتات الزمان تسهم في تكويني، وتضع أيضًا سهمًا يصيبني، فتكون النهاية نهايتي، وليس نهاية الزمان، فالعمر لحظات، آتات، أنفاس .. إنه الزمان.

- والسؤال: هل استطاع برجسون أن يحل إشكالياته الزمانية؟ وهل كان للنظرة التأويلية دور في حل هذه الإشكالية؟؟

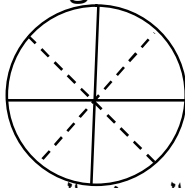
- نرى أن برجسون أتى بتأويل جديد، وفي نظرنا لأنه وضع التعادل بين الوجود والصورورة، فالوجود زمني والزمان وجودي، وبالتالي فالعدم لا زمني لأن العدم لا وجود - وربما هو وجود في طي الكتمان، أو وجود تحميه ظلال المخبوء - إنه الاكتشاف - كما نرى.
- الزمان البرجسوني هو التطور المفاجئ sudden Evolution وكأن برجسون يدعونا إلى التفتح، تفتح الوعي بالحياة الأبدية الخالدة، التي لا ينتهي منها الزمان، إن فلسفة برجسون في الزمان والمكان هي الفلسفة الجوهرية essential philosophy أي التي تبحث في متى نكون وأين نكون .. إنه عالم الزمان والمكان .. ذلك العالم المدهش، عالم المتى والأين، وكأنه عالم السينما الذي يجمع بين مكان التصوير وإيقاع الحوادث.

- الزمان - اللحظة Moment عند برجسون .. إن اللحظة تقع في قلب الحدس البرجسوني، فحياتنا لحظات، إنها الواقعة Fact، وهي الوجود existence ولكن لا يمكن إنكار وضعية وتلاحم الآتات الثلاثة، ولكن منها ما هو مرئي ومحسوس (ماض - حاضر) ومنها ما هو في طي الكتمان (المستقبل) إنها جميعاً معطيات الوجود الإنساني، ففي المكان امتداد Extension وفي الزمان آن instant وهنا يكون التوضع الحقيقي objectification للإنسان بين المكان والزمان..

- وقد قيل قديماً: "إن الطبيعة لا تفسر الكون وإنما هي نفسها في حاجة إلى تفسير". وفي ضوء ذلك أرى أننا في حاجة إلى المنظورات الكونية cosmic perspectives.

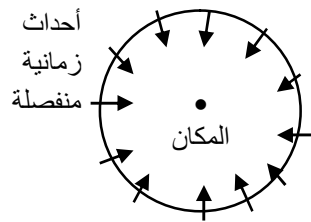
الزمان بين القوة والتراخي - الزمان والمكان البرجسوني

لقد أردت التعبير عن هاتين القضيتين في رسم توضيحي ربما يكشف عن المعنى أكثر من الكلمات.



الشكل الأول: ديمومة قوية افتراضية:

- تعبر الخطوط المتصلة عن قوة الديمومة وهي أقطار الدائرة الكاملة، أما الخطوط المنفصلة فهي تعبر عن التراخي والضعف الديمومي وهي عبارة عن أنصاف أقطار منقطعة.



الشكل الثاني: الزمان والمكان البرجسوني:

- نحن بين الزمان الفيزيائي والزمان النفسي (السيكولوجي) تملؤنا الديمومة، فنحن بين تغيرات الزمان وارتحالات النفس، عبر تقلباتها نكون .. نعم نكون.

ولذلك سيظل الزمان - عندي - هو الموسيقى الرقمية، وكأن الزمان استوحى مفهومه الأعمق من أجمل شيء في الكون، وهو الموسيقى فهي حديث الروح وخفقات القلب وتعدد المشاهد المرئية والتمثيلية بالقلب من خلال موسيقى الكون وانسجام ظواهره، أو حتى فوضوية أحداثه، ففي الانسجام موسيقى، وفي التشتت -أيضاً- موسيقى إنه الكون الصاخب والهادئ والمتلون بكل ألوان الطيف.

- أما برجسون فلم يُعطِ الموسيقى - في نظرنا - الأهمية التي تليق بها كإيقاع زمني يضبط السيمفونية، وهو ما يرتبط بالآلات موسيقية معينة (الآلات الإيقاعية)، وهذا الإيقاع

الموسيقي زمني - بلا شك - ولكن بظهوره بين الحين والآخر في المقطوعة الموسيقية يشعرنا بأننا بصدد لحنٍ جديدٍ، والحقيقة إنه إيقاع التواصل، إنه التنبيه بأنَّ شيئاً ما جديداً سيأتي عبر الزمان (الإيقاع) أو فقرة موسيقية جديدة، وهو معروف مع آلة البيانو حين تلون الزمان بألوان مبهرة وجديدة.

٣- علم النفس في إطار ديمومة زمنية:

- أعتقد أن برجسون توصل إلى ما هو جديد وبراق، وهو علم نفس فلسفي مشحون بالتوتر النفسي، والحدس، والزمان. إن سكون اللحظة وحركتها هو الإنسان، وبين التوتر النفسي وتجاوزه يكون الزمان .. إنها فلسفة زمنية مشحونة بالعمق النفسي، إنه التكامل بين العقل والنفس وعلم الأحياء، وكأن برجسون يصعد بنا إلى علم الكون Cosmology كله، لأننا نمارس كل شيء ولا نشعر بترايبطية الممارسات، إن الأمر لا يحتاج منا - كما أرى - سوى صفاء ذهني وحضور نفسي ووعي خصب بكائن حي .. إنه الإنسان.

- الموقف الغائب عند برجسون .. يتبادر إلى ذهني الموقف الغائب عند برجسون، وهو موقفه من الحلم واليقظة فنقول له إن في الحلم ديناميكية وحركة زمان ومكان، وفي اليقظة أيضاً ما في الحلم من ديناميكية وفاعلية إنسانية، ولذلك نقوله له: انتبه برجسون إلى هذا التوجه النفسي للزمان..

- برجسون بين الفيزيكا والميتافيزيكا (موقف سيكولوجي):

لاشك أن المعطيات السيكلوجية عند برجسون ذات علاقة وثيقة بالأبعاد الميتافيزيقية، وكأن برجسون يؤسس لعلم نفس ميتافيزيقي Metaphysical psychology إنه علم نفس لا يرتبط بالظواهر الشعورية واللاشعورية فقط (علم نفس تقليدي)، ولكنه يرتبط أيضاً -بالموقف الذاتي والأنطولوجي من ما وراء الطبيعة والوجود .. إنه الإبداع البرجسوني..

الإنسان عند برجسون في رأي الباحثة:

ذاتية خالصة في تعبيراتها الفيزيقية والميتافيزيقية، حتى عندما يتجاوز بأهدافه ذاته، إنما يرجع إلى الذات العميقة مستلهماً أعلى طاقاتها وأكثرها نقاءً وشفافية، (إنها الذات الحدسية إن صح التعبير)، إنها الانطلاقة الصاروخية نحو الهدف دون عراقيل أو آليات، دون وسائل أو تكتيكات .. إنه الوجود الأصيل ولذلك أعتقد أن برجسون كان حاملاً للأهداف الإحيائية كنتيجة طبيعية لحياة ديمومية، إنها ابتكارية الحياة المتجددة إنها -أيضاً- دعوة إلى إحياء (الروح - الشعور - الباطن).

٤ - عن الزمان والأخلاق:

إنها إشكالية برجسونية بصدد تأويل الزمان والأخلاق ...
ويبقى السؤال حاضرًا حضور الروح في الجسد: هل يستخدم برجسون نظرية الانعكاس Theory of reflection في دراسة حالات الإنسان الأخلاقية وانعكاسات الزمن عليها؟. الإجابة: نعم.

أعتقد أن برجسون قد قدم رهاناته الفكرية لحل الأزمة، ووضع إجابة للسؤال عن حقيقتنا، وحقيقة وجودنا، وأخلاقنا، ومصيرنا المحتوم بالموت عبر الزمان السيال.
- هل استطاع برجسون أن يحل إشكالياته؟؟

تتغير الحياة وتتباها الصيرورة، فيتغير الإنسان والقيم الأخلاقية، ويزول المطلق، وتطفو النسبية على السطح، فالإنسان لا يستطيع أن ينزل النهر مرتين لأن مياهه تتغير باستمرار (مقولة هيرقليطس) وكأن مقولة هيرقليطس قد تحولت إلى فعل حيوي Vital action شمل سطح الوجود وأعماق الحياة الإنسانية عند برجسون - إنه هيرقليطس الحديث.

وقد فعل برجسون هذا، فكانت الأخلاق بين الانفتاح والانغلاق، والدين بين الحركة والسكون، فكل شيء يتحرك، ولا يتوقف، إنها الديمومة الخالصة pure duration.
- يعالج برجسون الزمن المتحرك، والفكر المتحرك، وانعكاساته الأخلاقية، وفي نظري إن الزمان الفيزيائي يتحرك في اتجاه واحد وهو الأمام، أما الزمان النفسي فيتحرك في كل الاتجاهات.

- إنها دراسة للأخلاق بين الامتلاء والخواء، بين الحركة والصيرورة وبين الفراغ، بين الوجود والعدم، بين الديمومة والسكون، إنها حركة الإنسانية في طريقها للصعود الدائم بروح الأخلاق إلى أعلى .. ومن هنا كان الزمان البرجسوني تشكيلاً طبيعياً لأخلاق ذات طابع ديناميكي فعال.

تأثير الزمان على نسبية الأخلاق:

سؤالي: هل حقق الزمان الفوضى العشوائية، أم حقق الاطمئنان الداخلي بأن ما سوف يحدث، وما سوف يتغير من أخلاقيات شيء مرتقب وطبيعي، وليس هو بالزلزال المدمر؟

إن خالق الكون ثابت، والكون متغير بفعل إله قادر، فلا بد من أفاعيل الزمان على الإنسان ومنظومته القيمية بين الساكن والمتحرك، والمنغلق والمنفتح، تكون الأخلاق في حالة من الازدواجية .. وكأننا نعيش اليوم - برجسون - العالم نفسه الذي حددته أنت - من قبل ..

ولكنه في الوقت نفسه، عالم الهارمونية بين الموجب والسالب، والخير والشر فلا ثبات ولا جمود ألم نكن نتعامل مع أكثر الأشياء ديمومة وأكثر الأنشطة الإنسانية تغيرًا وبعْدًا عن الاستاتيكية؟ إنه النشاط الإنساني الأخلاقي.

والسؤال: هل نعيش رعب الأزمنة ونقلباتها؛ لأنه ربما في الصيرورة قلق هو القلق مما هو آت في المستقبل؟

ولكن يظل السؤال الأعمق - عندنا - هل في الثبات أمان واطمئنان؟ لا لأن في الثبات تراكمًا، والتراكم يولد الانفجار، إذن فلماذا هذا التوجس والتخوف من القادم من بعيد، (إنه رعب الأزمنة) الذي ليس له مبرر في الواقع، ربما في القادم قتل لقوى الشر وانبعاث للخير، ربما القادم يحمل ما لا تتوقعه النفس ولا تترقبه، إنه الخلاص الجاد عبر الزمن الدوري.. الخلاص بسيادة الخير الدائم، أو بالموت إنه الخلاص من آلام الحياة، فكلاهما خلاص، وكلاهما آت عبر الزمان.

٥- الدين عند برجسون موقف إبداعي:

- أما الدين فقد رأى برجسون في الدين ثورة وانطلاقة وليس رجعية وتخلُّفًا، فأعلن موقفه من الدين، وهو موقف الثوري المحقق لذاته عبر منابع الحرية الحقيقية التي لم يمنحها الدين فقط - بل منحها الإنسان لنفسه، فهو مخلوق حر، فالحرية فعل ونشاط لكائن حي عاقل، فبين الواقع والإمكان reality and possibility يكون الانتباه attention، أي الذات المبدعة والحررة.

- ولذلك فإننا نرى أن طريق الحرية البرجسونية هو طريق الممارسة الفعلية .. أبدأ من الحرية كمنطلق للإنسانية، وانتهى بالحرية، وكأن الموت نفسه حرية وتحرر من عالم زائف مريض مسجون مبتور العقل والوجدان.

في النهاية: أراني أصل إلى نهاية المطاف في رحلة برجسونية عن الزمانية والتأويلية الأخلاقية .. فأرى أن الإنسان عند برجسون وكأنه مُعرَّض للسقوط على الأرض بعنف شديد، معرض لنسيان قيمه الحقيقية، وفقدان الذاكرة فقدانًا كليًا، ومن هنا كان إنقاذ الإنسان من السقوط العنيف برؤية برجسونية بعودة الذاكرة - أو حتى عودة الروح إن صح التعبير - ليتعلم الإنسان ويتحرك في إطار معرفة واعية بقيمه الإنسانية الحقيقية، ووثبته الحيوية الفعالة.

الهوامش

- (١) بدوي، عبدالرحمن: موسوعة الفلسفة – ج١- المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ط١ – بيروت – ١٩٨٣ – ص ص ٣٢١، ٣٢٢.
- (*) ربما كانت هذه الرسالة – كما نرى – مدخلاً منطقيًا لدراسة مستفيضة عن الزمان أيضًا ودراسة للفكر المتحرك عند برجسون شاملاً أبعاده الأخلاقية.
- (**) ويرى د. عبدالرحمن بدوي أن شهرة برجسون ترجع إلى أسلوبه الرائع في الفرنسية، وهو من أكبر كتاب اللغة ولذلك مُنح جائزة نوبل في الأدب أسلوبه يتسم بالموسيقى والصور الشعرية والتشبيهات، وقراءة كتبه تعادل متعة الأعمال الأدبية العظمى، مع الدقة في التعبير الفلسفي. انظر: المرجع السابق: ص ٢٢٣.
- (2) Baker, A. E.: How to Understand Philosophy. From Socrates to Bergson – Hodder and Stoughton – London. P.p. 180–181.
- وأيضًا
- Bergson, Henri: Time and Free Will (An Essay on the Immediate Data of Consciousness – Authorisd translation by. F.L. Pogson – London – George Allen & unwin LTD. P.p. ix:xii.
- وقد تنبأ له أساتذته بمستقبل علمي (لقد حل وهو لا يزال تلميذًا مسألة الحلقات الثلاثة التي كان بسكال يتحدث عنها". انظر:
- طرابيشي، جورج (إعداد): معجم الفلاسفة – دار الطليعة – ط١ – بيروت – ١٩٨٧ – ص ص ١٤٥: ١٤٧.
- أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر – ط١ – ٢٠١٥ – ص ص ٢٩٠: ٢٩٢.
- (3) Phipps, Francis: Henri Bergson and the perception of time – philosophy Now – western university – Canada – 2004 – p.2.
- (4) Ibid: p. 7.
- ربما المذهب الحيوي (سيء السمعة في الدوائر العلمية) لأنه يضع في اعتباره التغيير دون أسانيد علمية ومناهج علمية دقيقة.
- (٥) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ٣٤٤ .
- أيضًا: التطور الخالق ١٩٠٧ وعلاقته بالنظرية الدارونية. انظر:
- بيداويد، يوحنا: الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ونظرية الدفع الحيوي – الحوار المتمدن – ٨-٩-٢٠١١ ص ٥.
- (٦) بدوي، عبدالرحمن: موسوعة الفلسفة – ج١ – مرجع سابق – ص ٣٢٥.
- وأيضًا:
- Phipps' Francis: Henri Bergson and the perception of time – op. cit. p.6.
- (٧) بخش، خادم حسين إلهي: هنري برجسون والمعتقدات الدينية – مجلة العلم العربي – جامعة بنجاب، لاهور، باكستان – العدد السابع عشر – باكستان – ٢٠١٠ – ص ٤٢.
- (٨) بدوي، عبدالرحمن: موسوعة الفلسفة – ج١ – مرجع سابق – ص ٣٢٤.
- (٩) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

- (١٠) طرابيشي، جورج (إعداد): معجم الفلاسفة – مرجع سابق – ص ١٤٧.
- (١١) برجسون، هنري: التطور الخالق – ترجمة محمد محمود قاسم – المركز القومي للترجمة – القاهرة – ٢٠٠٦ – ص ٥.
- روزنتال & يودين: الموسوعة الفلسفية – ترجمة سمير كرم – دار الطليعة للطباعة والنشر – ط٤ – بيروت – ١٩٨١ – ص ٧٩.
- كريسون، أندريه: برغسون – حياته – فلسفته – منتخبات – ترجمة نبيه صقر – منشورات عويدات – ط٣ – بيروت ١٩٨٢ – ص ص ٧٠، ٨٢.
- من ضمن الكتابات الهامة له – كما يرى كريسون:
- ١- الفلسفة، مجموعة (العلم الفرنسي) لاروس ١٩١٥.
 - ٢- الاختصاص، لاشير، أنجيه ١٨٨٢.
 - ٣- في التكلف اللاواعي خلال النوم المغناطيسي، المجلة الفلسفية ١٨٨٦.
 - ٤- الرشد والكلاسيكية، في إيماننا بناموس السببية وفي مصادرة السيكلوجية – مجلة علم المعقولات ١٩٠٣.
 - ٥- المدخل إلى علم المعقولات – مجلة علم المعقولات ١٩٠٣.
 - ٦- إدراك التبدل، أكسفورد-لندن ١٩١١.
 - ٧- مدلول الحرب، بلود، باريس ١٩١٥.
 - ٨- الأزمنة الوهمية والزمن الحقيقي، المجلة الفلسفية ١٩٢٤.
 - ٩- في الشخصية ١٩١١-١٩١٢.
 - ١٠- مفهوم التطور ١٩١٣.
- (١٢) طرابيشي، جورج (إعداد) – معجم الفلاسفة – مرجع سابق – ص ص ١٤٧: ١٤٩.
- (١٣) بوخينسكي: تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا – ترجمة محمد عبدالكريم الوافي – منشورات جامعة قاريونس – بنغازي – د.ت – ص ص ١٧٣: ١٧٥.
- (١٤) كريسون، أندريه: برغسون – حياته – فلسفته – منتخبات – مرجع سابق – ص ١٨.
- * Solidarity of ideas.
- (١٥) عويضة، كامل محمد (إعداد): هنري برجسون – فيلسوف المذهب المادي – دار الكتب العلمية – بيروت – د.ت. – ص ٧٧.
- (١٦) أمين، عثمان: لمحات من الفكر الفرنسي – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ط ١ – ١٩٧٠ – ص ٦٨.
- (١٧) باشلار، غاستون: جدلية الزمان – ترجمة خليل أحمد خليل – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – ط ١ – بيروت – ١٩٨٢ – ص ١٩.
- (١٨) إبراهيم، زكريا: برجسون – دار المعارف – د.ت – ص ص ١٣: ١٥.
- (19) Phipps, Francis: Henri Bergson and Concept of Time – op. cit. p.14.
- (20) Bergson, Henri: Time and Free Will – op. cit. pxii.
- (٢١) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ٣٣١.
- (٢٢) غالب، مصطفى: هنري برجسون – دار الكتب العلمية – ط ١ – بيروت – ١٩٩٣ – ص ص ١٩٢، ١٩٣.
- (٢٣) المرجع السابق، ص ١٨٩.

- (٢٤) إبراهيم، زكريا: مشكلة الإنسان - مكتبة مصر - القاهرة - د.ت - ص ص ٦٢، ٦٣. وأيضاً:
- عويضة، كامل محمد (إعداد): هنري برجسون - فيلسوف المذهب المادي - مرجع سابق - ص ٨٥.
- أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة - مرجع سابق - ص ٣٣٩.
- (٢٥) الشاروني: حبيب: فلسفة مين دي بيران - دار النشر المغربية - الدار البيضاء - ١٩٨٢ - ص ٦٠. مين دي بيران ← ولد عام ١٧٦٦ في برجراك Bergerac مدينة تقع على نهر دوردوني بفرنسا واسمه الرسمي بيير جوتنبيه دي بيران، وأضيف إلى الاسم كلمة مين Maine أخذاً عن إقطاعية لومين Le maine المرجع السابق - ص ص ٣: ٩.
- (٢٦) برجسون، هنري: التطور الخالق - مرجع سابق - ص ص ٧: ٩. وأيضاً:
- بيداويد، يوحنا: الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ونظرية الدفع الحيوي - مرجع سابق - ص ٦.
- (٢٧) كريسون، أندريه - برغسون - حياته - فلسفته - منتخبات - مرجع سابق - ص ص ٤٤، ٤٥.
- (٢٨) برجسون، هنري: التطور الخالق - مصدر سابق - ص ص ١٦١-١٢٨: ١٤١.
- (٢٩) بدوي، عبدالرحمن: موسوعة الفلسفة - ج ١ - مرجع سابق - ص ص ٣٣٢، ٣٣٣.
- (٣٠) الموساوي، إسماعيل: الدين السكوني والدين الحركي عند هنري برجسون - مؤمنون بلا حدود - أكتوبر - ٢٠١٧ - ص ٤.
- (٣١) أمين، عثمان: لمحات من الفكر الفرنسي - مرجع سابق - ص ٧٢.
- (٣٢) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة - مرجع سابق - ص ص ٢٨٤: ٢٨٧، ٢٩٤.
- (٣٣) بدوي، عبدالرحمن: موسوعة الفلسفة - ج ١ - مرجع سابق - ص ٣٢٣.
- (٣٤) أمين، عثمان: لمحات من الفكر الفرنسي - مرجع سابق - ص ص ٧٢، ٧٣.
- (٣٥) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة - مرجع سابق - ص ٢٧٧. وأيضاً:
- بيداويد، يوحنا: الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ونظرية الدفع الحيوي - مرجع سابق - ص ٢. حيث نجد برجسون تحدي النظرية المادية من هوبز وهيوم وسبينوزا وماركس وفويرباخ وسبنسر الذين عجزوا عن تفسير ولادة الحياة من المادة الجامدة.
- (٣٦) فال، جان: طريق الفيلسوف - ترجمة أحمد حمدي محمود - مؤسسة سجل العرب - القاهرة - ١٩٦٧ - ص ٣٤٧.
- (٣٧) فال، جان: الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر - ترجمة الأب مارون خوري - منشورات عويدات - ط ٢ - بيروت - ١٩٧٧ - ص ١٣١.
- (٣٨) كريسون، أندريه: برغسون - حياته - فلسفته - منتخبات - مرجع سابق - ص ٧٣.
- (٣٩) المرجع السابق: ص ٧٠.
- (٤٠) بيداوويد، يوحنا: الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ونظرية الدفع الحيوي - مرجع سابق - ص ١.
- (٤١) بخش، خادم حسين إلهي: هنري برجسون والمعتقدات الدينية - مرجع سابق - ص ٣١.
- (٤٢) كريسون، أندريه: برغسون - حياته - فلسفته - منتخبات - مرجع سابق - ص ٢٧.

(43) Horkheimer, Max: on Bergson's Metaphysics of Time- Radical philosophy – archive.com (May – Jun 2005). p. 3.

- (٤٤) أمين، عثمان: لمحات من الفكر الفرنسي – مرجع سابق – ص ٧٣.
- (٤٥) إبراهيم، زكريا: برجسون – مرجع سابق – ص ٩.
- (٤٦) وصفي، رؤوف (إعداد): الكون والثقوب السوداء – مراجعة زهير الكرمي – عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – ١٩٧٩ – ص ١٩.
- (٤٧) صالح، عبدالمحسن: الزمن البيولوجي – عالم الفكر – المجلد الثامن – العدد الثاني – يوليو – أغسطس – سبتمبر – ١٩٧٧ – وزارة الإعلام – الكويت – ١٩٧٧ – ص ٦٠.
- (٤٨) المرجع السابق: ص ٢٣.
- (٤٩) المرجع السابق: ص ١٧، ١٨.
- (٥٠) الألوسي، حسام الدين: الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم – عالم الفكر – المجلد الثامن – العدد الثاني – يوليو – أغسطس – سبتمبر – ١٩٧٧ – وزارة الإعلام – الكويت – ١٩٧٧ – ص ١١٠: ١١٥ وأيضًا:
- يعقوب، محمود: خلاصة الميتافيزياء – دار الكتاب الحديث – القاهرة – ٢٠٠٢ – ص ٥١: ٦١.
- (طبيعة الزمان – واقعية الزمان – إشكالية الزمان – النظريات الذاتية).
- (٥١) بشلار، فاستون: حدس اللحظة – ترجمة حنا عزوز – دار الشؤون الثقافية العامة – العراق – ١٩٨٦ – ص ١٩.
- (٥٢) المصدر السابق: ١٧.
- (٥٣) طاهر، علاء: نهايات الفضاء الفلسفي والفلسفة الغربية بين اللحظة الآنية والمستقبل – مكتبة مدبولي – القاهرة – ٢٠٠٥ – ص ١٨.
- (٥٤) صلاح الدين، عبير: الزمن بين الفلسفة والأدب – مسرح تشيكوف نموذجًا – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ٢٠٠٧ – ص ٢٠.
- (٥٥) رُوسو، هيرفه: الديانات – ترجمة متري شماس – المنشورات العربية – ديت – ص ١٧. انظر أيضًا:
- صالح، عبدالمحسن: الزمن البيولوجي – مرجع سابق – ص ٣١: ٦٠. وفيه معالجة للإحساس بالزمان عند الحيوان والنبات.
- (٥٦) باشلار، غاستون: جدلية الزمن – مصدر سابق – ص ٥.
- (٥٧) توفيق، إميل: الزمن بين العلم والفلسفة والأدب – دار الشروق – ط ١ – بيروت – ١٩٨٢ – ص ١٦: ١٨.
- (٥٨) المرجع السابق: ص ١٨، ١٩.
- (٥٩) باشلار، فاستون: حدس اللحظة – مصدر سابق – ص ٥٧.
- (٦٠) باشلار، غاستون: جدلية الزمن – مصدر سابق – ص ١٢٨: ١٤٤.
- (٦١) صلاح الدين، عبير: الزمن بين الفلسفة والأدب – مسرح تشيكوف نموذجًا – مرجع سابق – ص ١٩.

(*) إينشتاين، ألبرت Einstein, Albert ١٨٧٩-١٩٥٥ عالم فيزياء ألماني ومؤسس نظرية النسبية مما أدى إلى وجود أفكار جديدة عن الزمان والمكان والحركة والمادة والضوء والجاذبية وقد توصل ١٩٠٥ إلى فكرة جسيمات الضوء أو الفوتونات. وقد أرغمه الإرهاب الفاشي على مغادرة ألمانيا واستقر في أمريكا.
انظر:

روزنتال & يودين: الموسوعة الفلسفية – مرجع سابق-ص٧٠.
(٦٢) بشته، عبدالقادر: الابستمولوجيا – مثال فلسفة الفيزياء النيوتونية – دار الطليعة للطباعة والنشر – ط١ – بيروت – ١٩٩٥ – ص١٨.

(٦٣) روزنتال & يودين: الموسوعة الفلسفية – مرجع سابق – ص١٢٢.
وأيضاً: توفيق، إميل: الزمن بين العلم والفلسفة والأدب – مرجع سابق ص ص٤٨: ٥١.

(٦٤) صالح، عبدالمحسن: الزمن البيولوجي – مرجع سابق – ص ص٩، ١٠.

(٦٥) هوكنج، ستيفن: تاريخ موجز للزمان – من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء – ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ٢٠٠١ – ص١٢٩.

(٦٦) باشلار، غاستون: جدلية الزمان – مصدر سابق – ص ص٣٩: ٤٤.

(٦٧) غالب، مصطفى: هنري برجسون – مصدر سابق ص ص١٨٣، ١٨٤.

(٦٨) فال، جان: طريق الفيلسوف – مرجع سابق – ص١٦١.

(69) Bergson, Henri: Time and Free will – op.cit. p.p. 79: 81.

(٧٠) عويضه، كامل محمد وإعداد: هنري برجسون – فيلسوف المذهب المادي – مرجع سابق – ص٧٩.

(٧١) فال، جان: طريق الفيلسوف – مرجع سابق ص١٤٧.

(٧٢) باشلار، غاستون: جدلية الزمن – مصدر سابق – ص ص٢٣، ٢٤.

(٧٣) بيداويد، يوحنا: الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ونظرية الدفع الحيوي – مرجع سابق – ص٦.

(٧٤) الشاروني، حبيب: بين برجسون وسارتر – أزمة الحرية – دار المعارف – القاهرة – ١٩٦٣ م – ص٢٩.
وأيضاً:

– Horkheimer, Max: on Bergson's Metaphysics of Time – op. cit:p.5.

– Bergson, Henri: Time and Free will – op. cit. p.p. 140: 142.

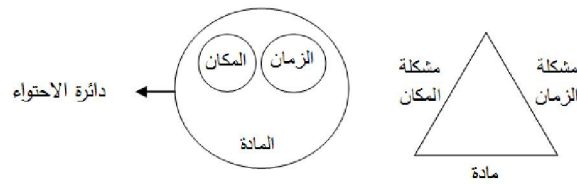
(٧٥) باشلار، غاستون: حدس اللحظة – مصدر سابق – ص٤٤.

(76) Bergson, Henri: Time and Free will – op. cit. p.p. 134-135.

(77) Ibid. p.p. 77-78.

(٧٨) روزنتال & يودين: الموسوعة الفلسفية – مرجع سابق – ص٢٣٥.

(* عموماً لقد حاولنا وضع رسم تخطيطي لهذه العلاقة بين الزمان والمكان والمادة



- (٧٩) صالح، عبدالمحسن: الإنسان والنسبية والكون – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – القاهرة – ١٩٧٠ – ص٧٦.
- إن العلم النيوتوني يركز على جملة من المفاهيم نذكر منها مفهوم الكتلة ومفهومي الزمان والفضاء Espace فقد نتج عن تصور هذا العالم ككتلة عدد هائل من التجارب والمعادلات – انظر:
- بشته، عبدالقادر: الابستمولوجيا – مثال فلسفة الفيزياء النيوتونية – مرجع سابق – ص١٧.
- (80) Bergson, Henri: Time and Free will – op.cit. pxxiii.
- (٨١) الشاروني، حبيب: بين برجسون وسارتر – ازمة الحرية – مرجع سابق – ص٢٧.
- (٨٢) غالب، مصطفى: هنري برجسون – مرجع سابق – ص ص١٨٤، ١٨٥.
- وأيضًا:
- بيداويد، يوحنا: الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ونظرية الدفع الحيوي – مرجع سابق – ص٦.
- (83) Bergson, henri: Time and Free Will – op.cit. p.p. 222: 226.
- (٨٤) هوكنج، ستيفن: تاريخ موجز للزمان – من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء – مرجع سابق – ص١٩.
- (٨٥) توفيق، إميل: الزمن بين العلم والفلسفة والأدب – مرجع سابق – ص ص٤٦، ٤٧.
- وأيضًا:
- Furrow, Dwight: Ethics– Key Concepts in Philosophy – Dwight – New York – 2005. P.p. 35: 38.
- Bergson, Henri: Time and Free will. Op. cit. p.143: 145.
- وفي هذا الكتاب توضيح لمفهوم الحتمية الفيزيائية physical determinism.
- (٨٦) أمين، عثمان: لمحات من الفكر الفرنسي – مرجع سابق – ص٨٦.
- (٨٧) وصفي، رؤوف (إعداد): الكون والثقوب السوداء – مرجع سابق – ص ص٧، ٨.
- أيضًا:
- Phipps, Francis: Henri Bergson and the Perception of Time – op. cit. p.10.
- (٨٨) وصفي، رؤوف (إعداد): الكون والثقوب السوداء – مرجع سابق – ص٣٦.
- (٨٩) هوكنج: ستيفن: تاريخ موجز للزمان – من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء – مرجع سابق – ص٢٩.
- (٩٠) صالح، عبدالمحسن: الإنسان والنسبية والكون – مرجع سابق – ص١٤.
- (٩١) ريشنباخ، هانز: من كوبرنيكوس إلى أينشتاين – ترجمة حسين علي – الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – ٢٠٠٦ – ص١٣٩.
- (٩٢) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص٢٩١.
- (٩٣) غالب، مصطفى: هنري برجسون – مرجع سابق – ص٥.
- وأيضًا:
- برجسون، هنري: التطور الخالق – ص ص٨٥: ٩٣.
- (٩٤) بشلار، فاستون: حدس اللحظة – مرجع سابق – ص٢٩.

- (٩٥) صلاح الدين، عبير: الزمن بين الفلسفة والأدب – مسرح تشيكوف نموذجًا – مرجع سابق – ص ٣٥.
- (٩٦) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة ومباحثها – مرجع سابق – ص ٣١٦.
- (٩٧) بشلار، غاستون: حدس اللحظة – مرجع سابق – ص ٢٢: ٢٦.
- (٩٨) يعقوب، محمود: خلاصة الميتافيزياء – مرجع سابق – ص ٥٩. وأيضًا:
- Hare, R.M: The Language of Morals – New York university press – 1964 – p.79.
- Bergson, Henri: Time and Free Will – op. cit. p. 228: 230. وفيه يحاول برجسون توضيح العلاقة بين العلم والديمومة.
- (99) Ibid. p.p. 203-231.
- (١٠٠) برجسون: منبعها الدين والأخلاق – ترجمة سامي الدروبي – عبدالله عبدالدايم – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – ط ١ – القاهرة - ١٩٧١ – ص ص ١٢٣: ١٢٦. وأيضًا:
- Shipps, Francis: Henri Bergson and the Perception of Time op. cit. p. 5.
- (١٠١) بشلار، فاستون: حدس اللحظة – مرجع سابق – ص ٣٢.
- (١٠٢) المرجع السابق: ص ٨١.
- (١٠٣) فال، جان: الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر – مرجع سابق – ص ١١٦.
- (١٠٤) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ص ٣١٧: ٣١٩.
- (١٠٥) وهبه، مراد: المذهب في فلسفة برجسون – دار المعارف – مصر – ١٩٦٠ – ص ٧٨. وأيضًا:
- Bergson, Henri: Time and Free Will- op. cit. p. 75.
- (١٠٦) وهبه، مراد: المذهب في فلسفة برجسون – مرجع سابق – ص ٨٣.
- (١٠٧) المرجع السابق: ص ص ٨٥: ٨٧.
- (١٠٨) بشلار، فاستون: حدس اللحظة – مرجع سابق – ص ٧٠.
- (١٠٩) فال، جان: طريق الفيلسوف – مرجع سابق – ص ١٦٥. وأيضًا:
- Bergson, Henri: Time and Free will – op. cit. p. 5.
- (110) Bergson, Henri: Time and Free will – op.cit. p.p. 226: 228.
- (١١١) برجسون، هنري: التطور الخالق – مرجع سابق – ص ٧.
- (١١٢) فال، جان: طريق الفيلسوف – مرجع سابق – ص ١٥٦.
- (١١٣) فال، جان: الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر – مرجع سابق – ص ١١٨.
- (١١٤) لافلين، روبرت ب: كون متميز – المركز القومي للترجمة – ط ١ – القاهرة – ٢٠١٠ – ص ص ٨١، ١٢٣.

- (١١٥) ليلي، وليام: المدخل إلى علم الأخلاق – ترجمة علي عبدالمعطي – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ١٩٨٥ – ص ٢١٩، ٢٢٠.
- ويذكر د. فؤاد زكريا في (التفكير العلمي) أنواع الحدس وهي:
- ١- حدس حسي يقصد به إدراكنا العادي بحواسنا مثل إدراك لون الحائط.
 - ٢- حدس في المجال العقلي – نقصد به وصول العقل مباشرة إلى النتيجة المطلوبة.
 - ٣- حدس في المجال العاطفي، حي يشعر الإنسان بالتعاطف أو التنافر مع أشخاص معينين من النظرة الأولى.
 - ٤- حدس في المجال الصوفي، حين يؤكد المتصوف أن الدين معرفة بالله تختلف عن المعرفة الاستدلالية والبراهين العقلية.
 - ٥- الحدس الفني، الذي يطلق عليه اسم الإلهام يتميز بالظهور المفاجئ.
- انظر:
زكريا، فؤاد: التفكير العلمي – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية – ٢٠٠٤ – ص ٧١: ٧٧.
- (١١٦) فال، جان: طريق الفيلسوف – مرجع سابق – ص ٢٨٥.
- (*) إن التحليل ينصب على الثابت بينما يتواجد الحدس في الحركة (الديمومة)، إذن الحدس يمكنه الانتقال إلى التحليل، ولكن لا يمكن الانتقال من التحليل إلى الحدس.
انظر:
- أبو ريان، محمد علي: الفلسفة ومباحثها مع ترجمة كتاب المدخل إلى الميتافيزيقا لبرجسون – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية – ٢٠١٥ – ص ٣٤١، ٣٤٢.
- بوعزة، الطيب: الفلسفة والعلم من منظور برجسوني – مؤمنون بلا حدود – ديسمبر ٢٠١٣.
- (١١٧) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة ومباحثها – مرجع سابق – ص ٣١١، ٣١٢.
- (١١٨) أمين، عثمان: لمحات من الفكر الفرنسي – مرجع سابق ص ٧٦.
- وأيضًا:
- فال، جان: الفلسفة الفرنسية من ديكرات إلى سارتر – مرجع سابق – ص ١٢٩.
- فال، جان: طريق الفيلسوف – مرجع سابق – ص ٢٨٤: ٢٨٦.
- (١١٩) كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة – دار المعارف – مصر – ١٩٥٧ – ص ٤٢٧.
- (١٢٠) ضيف الله، فوزية: أيمن للحدس أن يكون منهجًا والحال أنه معرفة مباشرة – مؤمنون بلا حدود مايو ٢٠١٥ – ص ٧.
- (١٢١) إبراهيم، زكريا: برجسون – مرجع سابق – ص ٦١.
- أيضًا:
- بوخينسكي: تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا – مرجع سابق، ص ١٧٦: ١٧٩.
- (١٢٢) مونييه، رينيه: البحث عن الحقيقة – وجوهها – أشكالها – علاقتها بالحريّة – ترجمة هاشم الحسيني – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – ١٩٨٥ – ص ٨١.
- (١٢٣) يعقوب، محمود: خلاصة الميتافيزياء – مرجع سابق – ص ٦٠، ٦١.
- أيضًا:
- عويضة، كامل محمد (إعداد): هنري برغسون – فيلسوف المذهب المادي – مرجع سابق – ص ٨٨.
- (١٢٤) إبراهيم، زكريا: مشكلة الإنسان – مرجع سابق – ص ٣٤، ٢٠: ٢١.
- وتذكر المخطوطات الهندية في القرن الأول ق.م الكثير عن النفس:

ولا تعتقد أنها دنيئة لنفسها
والنفس أيضاً هي العدو الوحيدة لنفسها
وكذلك تصادق نفسها. وما إلى ذلك
وهي عدو نفسها والعدو الوحيد

الـنفس تمجد نفسها
فالنفس صديقة لنفسها
لهذا فهي تكبح نفسها بنفسها
وحينما تضل فهي تفهر نفسها

انظر:

لابين، والاس & جرين، بيرت: مفهوم الذات أسسه النظرية والتطبيقية – ترجمة فوزي بهلول – مكتبة الأنجلو المصرية – د.ت – ص ٧.

(١٢٥) باشلار، غاستون: جدلية الزمن – مصدر سابق – ص ١٣.

(١٢٦) المصدر السابق: ص ٣٧.

والزمن السيكلوجي: هو شعور نفسي من حيث إنه لا يوجد مستقلاً عن تجارب وخبرات النفس الإنسانية .. فالزمن الداخلي يخضع لإيقاع تغيرنا نحن .. أما الزمن الخارجي فله إيقاعه الموضوعي المستقل عنا.

انظر: صلاح الدين، عيبر: الزمن بين الفلسفة والأدب – مسرح تشيكوف نموذجاً – مرجع سابق – ص ٤٩.

(١٢٧) الشاروني، حبيب: بين برجسون وسارتر – أزمة الحرية – مرجع سابق – ص ٤١.

وأيضاً:

غالب، مصطفى: هنري برجسون – مصدر سابق ص ٧١-١٤٠: ١٤٣.

(١٢٨) باشلار، غاستون: جدلية الزمن – مصدر سابق – ص ١٤.

(١٢٩) المرجع السابق: ص ٤٥.

(١٣٠) غالب، مصطفى: هنري برجسون – مرجع سابق – ص ١٨٢.

(١٣١) كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ٤٢٣، ٤٢٥.

(١٣٢) وهبه، مراد: المذهب في فلسفة برجسون – مرجع سابق – ص ٥٥: ٥٨.

وأيضاً:

– Bergson, Henri: Time and Free Will – op. cit. p.p. 1: 4.

(١٣٣) بوليتزيد، جورج: أزمة علم النفس المعاصر – ترجمة لطفي فطيم – دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – القاهرة – د.ت. – ص ٧.

(١٣٤) المرجع السابق – ص ٣٦، ٣٧.

(١٣٥) المرجع السابق: ص ٨٥.

(١٣٦) الشاروني، حبيب: فلسفة مين دي بيران – مرجع سابق – ص ٤٦.

(١٣٧) وهبه، مراد: المذهب في فلسفة برجسون – مرجع سابق – ص ٦٦.

(١٣٨) بدوي، عبدالرحمن: موسوعة الفلسفة – ج ١ – مرجع سابق – ص ٣٢٩.

(١٣٩) ناضر، زاهي: الفلسفة وعلم النفس – العلاقات والإشكاليات – دار الحدائق للطباعة والنشر والتوزيع ط ١ – بيروت – ١٩٩٩ – ص ٦٩: ٧١.

(١٤٠) كريسون، أندريه – برغسون – حياته – فلسفته – منتخبات – مرجع سابق – ص ٤٣.

(١٤١) أمين، عثمان: لمحات من الفكر الفرنسي – مرجع سابق – ص ٩٩: ١٠١.

أيضاً:

كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ٤٢٢.

(١٤٢) فال، جان: طريق الفيلسوف – مرجع سابق – ص ٤٥٩، ٤٦٠.

وأيضًا:

- Reck, Andrew: The New American Philosophers – Louisiana state university – press – 1968 p.p. 255: 258.

(١٤٣) بوليتزيد، جورج: أزمة علم النفس المعاصر – مرجع سابق – ص ٨٢.

(١٤٤) المرجع السابق: ص ٥٥.

(١٤٥) غالب، مصطفى: هنري برجسون – مرجع سابق – ص ص ٧٣: ٧٥.

وأيضًا:

وهبه، مراد: المذهب في فلسفة برجسون – مرجع سابق – ص ١٢٧: ١٣٣.
وفي هذا الجزء معالجة للتعرف الكاذب عند برجسون وعلاقته بالأمراض النفسية، والزمان والوهم،
وقد كتب برجسون مقالة في (المجلة الفلسفية) ١٩٠٨ عالج فيها هذه المسائل بطريقة مستفيضة.

(١٤٦) إبراهيم، زكريا: مشكلة الإنسان – مرجع سابق – ص ص ٥٣: ٥٥.

- (147) Davis, Charles: Religion and the Making of Society – Essays in Social theology – Cambridge university. 1994– pp. 131: 135.

وأيضًا:

- Reck, Andrew: the New American Philosophers – op. cit. p.p. 37–50.

(١٤٨) غالب، مصطفى: هنري برجسون، مرجع سابق، ص ١٩٠.

(١٤٩) برجسون: منبع الدين والأخلاق – مرجع سابق، ص ص ١١٣-١٨٦: ١٩٤.

(١٥٠) بخش، خادم حسين إلهي: هنري برجسون والمعتقدات الدينية – مرجع سابق – ص ٧٣.

(١٥١) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ٢٩١.

(١٥٢) بخش، خادم حسين إلهي: هنري برجسون والمعتقدات الدينية – مرجع سابق – ص ١٠٠.

(١٥٣) المرجع السابق: ص ٤٢.

وأيضًا:

الموساوي، إسماعيل: الدين السكوني والدين الحركي عند برجسون – مرجع سابق – ص ص ٧، ٨.

- Horkheimer, Max: on Bergson's Metaphysics of Time – op. cit. p.5.

أراد برجسون أن يستحضر الواقع على المبدأ الداخلي أو المقدس.

On enternal or divine principle.

(١٥٤) الموساوي، إسماعيل: الدين السكوني والدين الحركي عند برجسون – مرجع سابق – ص ٨.

(١٥٥) بخش، خادم حسين إلهي: هنري برجسون والمعتقدات الدينية – مرجع سابق – ص ٤٥.

(١٥٦) كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ٤٢٤.

(١٥٧) بخش، خادم حسين إلهي: هنري برجسون والمعتقدات الدينية – مرجع سابق – ص ٥٧.

(١٥٨) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ص ٣٥٦، ٣٥٧.

(١٥٩) فال، جان: طريق الفيلسوف – مصدر سابق – ص ٤٦٨.

(١٦٠) برجسون، هنري: التطور الخالق – مصدر سابق – ص ٩.

(١٦١) فال، جان: طريق الفيلسوف – مرجع سابق – ص ص ٤٦٨، ٥٠٣.

وأيضًا:

كريسون، أندريه: برغسون – حياته – فلسفته – منتخبات – مرجع سابق – ص ٨٦.

- الديمومة – (مختارات من رسالة إلى هوفدنج ١٩١٦، باريس).
 (١٦٢) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ٢٦٢.
 (١٦٣) بوخينسكي: تاريخ الفلسفة المعاصرة – مرجع سابق – ص ص ١٨٤، ١٨٥.
 أيضاً:
 الموساوي، إسماعيل: الدين السكوني والدين الحركي – مرجع سابق – ص ١.
 (١٦٤) المرجع السابق: ص ص ٣، ٥.
 أيضاً:
 بخش، خادم حسين إلهي: هنري برجسون والمعتقدات الدينية – مرجع سابق –
 ص ص ٤٩، ٥٠.
 (١٦٥) المرجع السابق: ص ٤٥.
 (166) Davis, Charles: Religion and The Making of Society – op. cit. pp. 39-20:
 47.
 (١٦٧) ليلي، وليام: مدخل إلى علم الأخلاق – مرجع سابق – ص ص ٤٤٥-٣٩٥: ٣٩٨.
 أيضاً:
 – Reck, Andrew: The New American Philosophers – op. cit. p.p. 331-332.
 (١٦٨) روسو، هيرف: الديانات – مرجع سابق -ص ص ٨٤-٨٦: ٩٠.
 (١٦٩) بخش، خادم حسين إلهي: هنري برجسون والمعتقدات الدينية – مرجع سابق – ص ٥١.
 (١٧٠) برجسون: منبعا الدين والأخلاق – مصدر سابق – ص ص ١٠٧، ١٠٨.
 (١٧١) كريسون، أندريه: برجسون – حياته – فلسفته – منتخبات – مرجع سابق – ص ١٥٨.
 (١٧٢) بخش، خادم حسين إلهي: هنري برجسون والمعتقدات الدينية – مرجع سابق – ص ٧٩.
 (١٧٣) الموساوي، إسماعيل: الدين السكوني والدين الحركي – مرجع سابق – ص ص ٦: ٨.
 (١٧٤) الشاروني، حبيب: فلسفة مين دي بيران – مرجع سابق – ص ١٢٣.
 (١٧٥) فال، جان: الفلسفة الفرنسية من ديكارث إلى سارتر – مرجع سابق – ص ١٣٤.
 (176) Furrow, Dwight: Ethics – Key Concepts in Philosophy – op. cit. p.162.
 (١٧٧) إبراهيم زكريا: مشكلة الحرية – مكتبة مصر – القاهرة – د.ت. ص ص ٨، ٩.
 أيضاً:
 Furrow, Dwight: Ethics – Key Concepts in Philosophy – op. cit. p.p. 156-157.
 (١٧٨) إبراهيم، زكريا: مشكلة الحرية – مرجع سابق – ص ٧٠.
 (١٧٩) الشاروني، حبيب: بين برجسون وسارتر – أزمة الحرية – مرجع سابق – ص ١٧.
 (١٨٠) المرجع السابق: ٨.
 (١٨١) المرجع السابق: الصفحة نفسها.
 (١٨٢) المرجع السابق: ص ص ٧، ٨.
 أيضاً:
 أمين، عثمان: لمحات من الفكر الفرنسي – مرجع سابق ص ص ٩٢، ٩٣.
 – Bergson, Henri: time and Free will – op. cit. p.p. xi-xii- 76.

- (١٨٣) برغسون، هنري: الضحك – ترجم على مقلد – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – ط١ – بيروت – د.ت. – صص ٥٦، ٥٧.
- (١٨٤) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ٢٩٩.
- (١٨٥) بخش، خادم إلهي: هنري برجسون والمعتقدات الدينية – مرجع سابق – ص ٤٠.
- (١٨٦) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ٢٩٧.
- أيضاً:
أمين، عثمان: لمحات في الفكر الفرنسي – مرجع سابق – ص ٩٤.
- Phipps, Francis: Henri Bergson and the Perception of Time – op. cit. p. 3.
- (١٨٧) الشاروني، حبيب: بين برجسون وسارتر – أزمة الحرية – مرجع سابق – ص ٣٦: ٤٠.
- (١٨٨) فال، جان: الفلسفة الفرنسية من ديكرات إلى سارتر – مرجع سابق – ص ١٢٠.
- (١٨٩) أمين، عثمان: لمحات في الفكر الفرنسي – مرجع سابق – ص ٩٦.
- (١٩٠) كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ٤٢٤.
- (١٩١) بدوي، عبدالرحمن: موسوعة الفلسفة – ج ١ – مرجع سابق – صص ٣٢٦، ٣٢٧.
- وأيضاً:
فال، جان: طريق الفيلسوف – مرجع سابق – ص ٢٢٠.
- (١٩٢) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – صص ٣٢٧: ٣٢٩.
- (١٩٣) إبراهيم، زكريا: مشكلة الإنسان – مرجع سابق – صص ٧٤: ٧٧.
- (١٩٤) إبراهيم، زكريا: مشكلة الحرية – مرجع سابق – ص ١٦٩.
- (١٩٥) وهبه، مراد: المذهب في فلسفة برجسون – مصدر سابق – ص ٨٨.
- (١٩٦) برجسون، هنري: التطور الخالق – مرجع سابق – ص ٧.
- (١٩٧) إبراهيم، زكريا: برجسون – مرجع سابق – ص ٩٥.
- وأيضاً:
Bergson, Henri: Time and Free Will – op. cit. p. 76.
- (١٩٨) فال، جان: طريق الفيلسوف – مرجع سابق – ص ٣١١.
- وأيضاً:
Hare, R. M: The Language of Morals – op. cit. pp. 127-128.
- (١٩٩) وهبه، مراد: المذهب في فلسفة برجسون – مرجع سابق – صص ٩٨، ٩٩.
- وأيضاً:
الشاروني، حبيب: بين برجسون وسارتر – أزمة الحرية – مرجع سابق – صص ٣١: ٣٢.
- (٢٠٠) برجسون: منبع الدين والأخلاق – مصدر سابق – صص ١٣٥، ١٣٦.
- (٢٠١) إبراهيم، زكريا: مشكلة الحرية – مرجع سابق – ص ٣٣.
- (٢٠٢) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – صص ٣٢٢، ٣٢٣.
- (٢٠٣) عويضة، كامل محمد (إعداد): هنري برجسون فيلسوف المذهب المادي – مرجع سابق – ص ٨٧.
- وأيضاً:
بيداويد، حنا: الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ونظرية الدفع الحيوي – مرجع سابق – صص ٤، ٥.
- (204) Phipps, Francis: Henri Bergson the Perception of Time – op. cit. p.2.

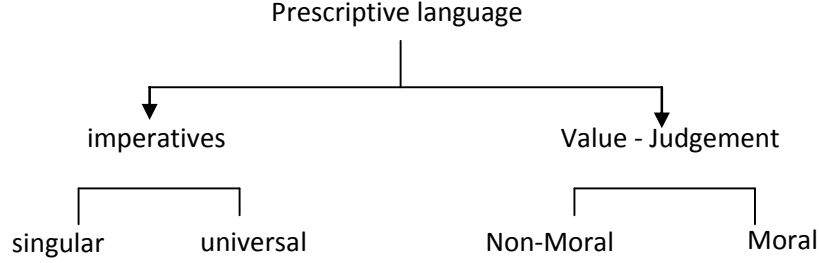
- (٢٠٥) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ص ٢٢١، ٢٢٢.
- (٢٠٦) المرجع السابق: ص ٢٩٧.
- (٢٠٧) الشاروني، حبيب: بين برجسون وسارتر – أزمة الحرية – مرجع سابق – ص ص ١١: ١٥، ٣٠.
- (٢٠٨) المرجع السابق: ص ٣٢.
- (209) Baker. A.F.: How to Understand Philosophy From Socrates to Bergson? op. cit. p.p. 181-182.
- وأيضًا:
- فال، جان: طريق الفيلسوف – مرجع سابق – ص ص ٢٠٧، ٢٠٨.
- عويضة، كامل محمد (إعداد) هنري برجسون – فيلسوف المذهب المادي – مرجع سابق – ص ١١٥.
- (٢١٠) إبراهيم، زكريا: برجسون – مرجع سابق – ص ص ٧٣، ٧٤.
- (٢١١) بوخينسكي: تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا – مرجع سابق – ص ص ١٧٨، ١٧٩.
- (٢١٢) إبراهيم، زكريا: برجسون – مرجع سابق – ص ص ٧٩: ٨٣، ٩٢.
- (٢١٣) فال، جان: طريق الفيلسوف – مرجع سابق – ص ٢١٧.
- (٢١٤) الشاروني، حبيب: بين برجسون وسارتر – أزمة الحرية – مرجع سابق – ص ص ١٨: ٢٥.
- (٢١٥) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ٣٢٤.
- (٢١٦) الشاروني، حبيب: بين برجسون وسارتر – أزمة الجزء – مرجع سابق – ص ٤١.
- (٢١٧) فال، جان: الفلسفة الفرنسية من ديكرت إلى سارتر – مرجع سابق – ص ص ١١٨، ١١٩.
- (٢١٨) إبراهيم، زكريا: مشكلة الحرية – مرجع سابق – ص ٧٨.
- (٢١٩) إبراهيم، زكريا: برجسون – مرجع سابق – ص ٩٧.
- (٢٢٠) كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ٤٢٤.
- (221) Furrow, Dwight: Ethics- key concepts in philosophy. Op. cit. p.p. 1:3.
- وأيضًا:
- Kuznetsov. B.G.: Philosophy of Optimism – translated from the Russian by. Dkhakina, progress publishers – First printing. Moscow – 1977 – p.p. 9-10.
- Reck, Andrew: the New American Philosophers. Op. cit. p. 29.
- (علاقة التفكير بالفعل – الفعل الأخلاقي)
- Thought and action.
- (الأخلاق وعلاقتها بالفلسفة الاجتماعية)
- Ethics and social philosophy.
- Ibid. p. 36-37.
- Furrow, Dwight: Ethics- Key Concepts in Philosophy – op. cit. p.p. 8:10- 62-63.
- (222) Ibid. p. 77: 80 – 132: 136. The Role of Emotion.
- (223) Hare, R.M: the language of morals – op. cit. p.p. 151-152.
- (٢٢٤) ليلي، وليام: المدخل إلى علم الأخلاق – مرجع سابق – ص ٤٩.
- وأيضًا:
- Kuznetsov. B.G: Philosophy of optimism – op.cit. p.53.
- (٢٢٥) روسو، هيرف: الديانات – مرجع سابق – ص ٦.

وأيضاً:

Kuznetsov. B.G: Philosophy of Optimism op. cit. p.p. 32-33.

(226) Furrow, Dwight: Ethics- Key Concepts in Philosophy – op. cit. p.p. 105: 107-155: 163.

(227) Reck, Andrew: The New American Philosophers – op. cit p.p. 97-98-30: 32 (*) اللغة المكتسبة وعلاقتها بالأخلاق والأخلاق.



(٢٢٨) برجسون: منبعاً الدين والأخلاق – مرجع سابق – ص ١٥. وأيضاً:

Horkheimer, Max: on Bergson's Metaphysics of Time – op. cit. p. 1.

(٢٢٩) برجسون: منبعاً الدين والأخلاق – مصدر سابق – ص ٩٤.

(٢٣٠) المصدر السابق: ص ٥٤، ٥٥.

(٢٣١) المصدر السابق: ص ٥١.

(٢٣٢) المصدر السابق: ص ٩٨: ٩٩.

(٢٣٣) المصدر السابق: ص ٢٤.

(٢٣٤) المصدر السابق: ص ١٧.

(٢٣٥) المصدر السابق: ص ١٠٥.

(٢٣٦) بوليتزيد، جورج: أزمة علم النفس المعاصر – مرجع سابق – ص ١٥.

(٢٣٧) أمين، عثمان: لمحات من الفكر الفرنسي – مرجع سابق – ص ٧٧.

وأيضاً:

الطويل، توفيق: الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – ط ١ – القاهرة – ١٩٦٠ – ص ١٢١.

(٢٣٨) المرجع السابق: ص ١٢٣: ١٢٥.

(٢٣٩) برجسون: منبعاً الدين والأخلاق – مصدر سابق ص ٢١.

(٢٤٠) فوكو، ميشيل: استعمال الذات – ترجمة جورج أبي صالح – مركز الإنماء القومي – بيروت – ١٩٩١ – ص ٢٢: ٢٣.

(٢٤١) ليلي، وليام: المدخل إلى علم الأخلاق – مصدر سابق – ص ٤٤٣، ٤٤٤.

(٢٤٢) باشلار، غاستون: جدلية الزمن – مصدر سابق – ص ٢٧.

(٢٤٣) المصدر السابق: ص ١٦٧.

(٢٤٤) كريسون، أندريه: برغسون – حياته – فلسفته – منتخبات – مرجع سابق – ص ٦٠.

- (٢٤٥) يرغسون، هنري: الضحك – مصدر سابق – ص ص ٥، ٩.
- (٢٤٦) المصدر السابق: ص ١٣.
- (٢٤٧) المصدر السابق: ص ص ٥٠، ٩٢.
- (٢٤٨) بدوي، عبدالرحمن: موسوعة الفلسفة – ج١- مرجع سابق – ص ص ٢٣٤، ٢٣٥.
- (٢٤٩) كريم، يوسف: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ٤٣٠.
- (٢٥٠) بوخينسكي: تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوربا- مرجع سابق – ص ١٨٣.
وأيضًا:
- أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ص ٣٥٨: ٣٦٢.
- طرابيشي، جورج (إعداد): معجم الفلسفة – مرجع سابق – ص ص ١٤٧، ١٤٨.
- (٢٥١) برجسون: منبع الدين والأخلاق – مصدر سابق – ص ٦٢.
- (٢٥٢) المصدر السابق: ص ٧١.
- (٢٥٣) المصدر السابق: ص ٣٣.
- (٢٥٤) المصدر السابق: ص ٣٩.
وأيضًا:
- بدوي عبدالرحمن: موسوعة الفلسفة – ج١ – مرجع سابق – ص ٢٣٧.
- (٢٥٥) برجسون: منبع الدين والأخلاق – مصدر سابق – ص ص ٥٤، ٤٥.
- (٢٥٦) المصدر السابق: ص ٤٢.
- (٢٥٧) بدوي، عبدالرحمن: موسوعة الفلسفة – ج١ – مرجع سابق – ص ٣٣٨.
- (٢٥٨) ليلي، وليام: المدخل إلى علم الأخلاق – مرجع سابق – ص ٣٣٨.
- (٢٥٩) الموساوي، إسماعيل: الدين السكوني والدين الحركي عند هنري يرغسون – مرجع سابق –
- (٢٦٠) صالح، عبدالمحسن: الزمن البيولوجي – مرجع سابق – ص ص ٦١: ٦٣.
- (٢٦١) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ٣٦٤.
- (٢٦٢) إبراهيم، زكريا: مشكلة الإنسان – مرجع سابق – ص ١١٠.
- (٢٦٣) الطويل، توفيق الفلسفة الخلقية – نشأتها وتطورها – مرجع سابق – ص ١٢٢.
- (٢٦٤) بشلار، غاستون: حدس اللحظة – مصدر سابق – ص ٣٩.
وأيضًا:
- يرغسون، هنري: الضحك – مصدر سابق – ص ص ١٢٨، ١٢٩.
- كما يمكن الرجوع إلى:
- Hare,R.M: The Language of Morals – op. cit. p.p. 179-137: 140.
وفيه عرض واضح عن الخير ودرجاته ومنفعته والخير في السياقات الأخلاقية good in Morals contexts وعلاقته بالفضائل الأخرى.
- (٢٦٥) أبوريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ص ٣٠٤: ٣٠٧.
- (٢٦٦) أمين، عثمان: لمحات من الفكر الفرنسي – مرجع سابق – ص ٧٨.
- (267) Bergson, Henri: Time and Freewill– op. cit. p.p. 10, 11.

وأيضًا:

- Furrow, Dwight: Ethics- Key Concepts in Philosophy – op. cit. p.p. 108:115 – 121, 122.

حيث يتحدث المؤلف عن سياقات السعادة وعلاقة السعادة بالذلة.

(٢٦٨) برغسون، هنري: الضحك – مصدر سابق – ص ص ١٢٧، ٩٧.

(٢٦٩) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ٣٠٧.

(٢٧٠) برغسون، هنري: الضحك – مصدر سابق – ص ٩٠.

(٢٧١) برجسون؛ منبع الدين والأخلاق – مصدر سابق- ص ص ٧٧: ٨٢.

(٢٧٢) برغسون، هنري: الضحك – مصدر سابق – ص ١١٣.

(٢٧٣) برجسون: منبع الدين والأخلاق – مصدر سابق – ص ص ٢٥: ٢٧.

(٢٧٤) إبراهيم، زكريا: مشكلة الإنسان – مرجع سابق – ص ٦٥.

(٢٧٥) توفيق، إميل: الزمن بين العلم والفلسفة والأدب – مرجع سابق – ص ٨.

(276) Baker. A. E.: How to Understand Philosophy? .From Socrates to Bergson – op. cit. p. 182.

وأيضًا:

فال، جان: الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر – مرجع سابق – ص ١٣٢.

(277) Bergson, Henri: Time and Free Will – op. cit. p.p. 11-12.

(٢٧٨) برجسون، منبع الدين والأخلاق – مصدر سابق – ص ٤٧.

(٢٧٩) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(٢٨٠) أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة – مرجع سابق – ص ص ٣٤٩-٣٤٦-٣٤٨.

(٢٨١) عويضة، كامل محمد (إعداد): هنري برجسون – فيلسوف المذهب المادي – مرجع سابق – ص ١٢٢.

وأيضًا:

روسو، هيرف: الديانات – مرجع سابق – ص ٩.

(٢٨٢) بيداويد، يوحنا: الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ونظرية الدفع الحيوي – مرجع سابق – ص ص ٧، ٨.

وأيضًا:

برجسون، هنري: التطور الخالق – مصدر سابق – ص ص ١٢، ٢٥، ٩٩: ١٠١.

(٢٨٣) برغسون، هنري: الضحك – مصدر سابق – ص ٦٢.

(٢٨٤) عويضة، كامل محمد (إعداد): هنري برجسون – فيلسوف المذهب المادي – مرجع سابق – ص ١٢٢.

(285) Kuznetspv. B.G: Philosophy of Optimism – op. cit. p.p. 42, 43.

(286) Ibid. p.p. 8-28-29-37.

(٢٨٧) الشاروني حبيب: فلسفة مين دي بيران – مرجع سابق – ص ١٤.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

- ١- إبراهيم، زكريا: برجسون - دار المعارف - القاهرة - د.ت.
- ٢- إبراهيم، زكريا: مشكلة الإنسان - مكتبة مصر - القاهرة - د.ت.
- ٣- إبراهيم، زكريا: مشكلة الإنسان - مكتبة مصر - د.ت.
- ٤- أبو ريان، محمد علي: الفلسفة ومباحثها مع ترجمة كتاب المدخل إلى الميتافيزيقا لبرجسون - دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر - الإسكندرية - ٢٠١٥م.
- ٥- أبو ريان، محمد علي: الفلسفة الحديثة - دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر - ط ١ - ٢٠١٥م.
- ٦- الألوسي، حسام الدين - الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم - عالم الفكر - المجلد الثامن - العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر ١٩٧٧ - وزارة الإعلام - الكويت - ١٩٧٧م.
- ٧- أمين، عثمان: لمحات من الفكر الفرنسي - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط ١ - ١٩٧٠م.
- ٨- باشلار، غاستون: جدلية الزمان - ترجمة خليل أحمد خليل - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - ط ١ - بيروت - ١٩٨٢م.
- ٩- بدوي، عبدالرحمن: موسوعة الفلسفة - ج ١ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ط ١ - بيروت - ١٩٨٣م.
- ١٠- بخش، خادم حسين إلهي: هنري برجسون والمعتقدات الدينية - مجلة العلم العربي - جامعة بنجاب، لاهور، باكستان - العدد السابع عشر - باكستان - ٢٠١٠م.
- ١١- برجسون: منبعها الدين والأخلاق - ترجمة سامي الدروبي - عبدالله عبدالدايم - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - ط ١ - القاهرة - ١٩٧١م.
- ١٢- برجسون، هنري: التطور الخالق - ترجمة محمد محمود قاسم - المركز القومي للترجمة - القاهرة - ٢٠٠٦م.
- ١٣- برغسون، هنري: الضحك - ترجم على مقلد - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - ط ١ - بيروت - د.ت.
- ١٤- بشته، عبدالقادر: الابستمولوجيا - مثال فلسفة الفيزياء النيوتونية - دار الطليعة للطباعة والنشر - ط ١ - بيروت - ١٩٩٥م.
- ١٥- بشلار، فاستون: حدس اللحظة - ترجمة حنا عزوز - دار الشؤون الثقافية العامة - العراق - ١٩٨٦م.

- ١٦- بوخينسكي: تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا - ترجمة محمد عبدالكريم الوافي - منشورات جامعة قاريونس - بنغازي - د.ت.
- ١٧- بوعزة، الطيب: الفلسفة والعلم من منظور برجسوني - مؤمنون بلا حدود - ديسمبر - ٢٠١٣م.
- ١٨- بوليتز، جورج: أزمة علم النفس المعاصر - ترجمة لطفي فطيم - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة - د.ت.
- ١٩- بيداويد، يوحنا: الفيلسوف هنري برجسون ونظرية الدفع الحيوي - الحوار المتمدن ٨-٩ - ٢٠١١م.
- ٢٠- توفيق، إميل: الزمن بين العلم والفلسفة والأدب - دار الشؤون - ط١ - بيروت - ١٩٨٢م.
- ٢١- روزنتال & يودين: الموسوعة الفلسفية - ترجمة سمير كرم - دار الطليعة للطباعة والنشر - ط٤ - ١٩٨١م.
- ٢٢- روسو، هيرف: الديانات - ترجمة متري شماس - المنشورات العربية - د.ت.
- ٢٣- ريشنباخ، هانز: من كوبرنيكوس إلى أينشتاين - ترجمة حسين علي - الدار المصرية السعودية - للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ٢٠٠٦م.
- ٢٤- زكريا، فؤاد: التفكير العلمي - دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر - الإسكندرية - ٢٠٠٤م.
- ٢٥- الشاروني: حبيب: فلسفة مين دي بيران - دار النشر المغربية - الدار البيضاء - ١٩٨٢م.
- ٢٦- الشاروني، حبيب: بين برجسون وسارتر - أزمة الحرية - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٣م.
- ٢٧- صالح، عبدالمحسن: الزمن البيولوجي - عالم الفكر - المجلد الثامن - العدد الثاني يوليو - أغسطس - سبتمبر ١٩٧٧م - وزارة الإعلام - الكويت - ١٩٧٧م.
- ٢٨- صلاح الدين، عبير: الزمن بين الفلسفة والأدب - مسرح تشيكوف نموذجاً، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ٢٠٠٧م.
- ٢٩- ضيف الله، فوزية: أيمن للحدس أن يكون منهجاً والحال أنه معرفة مباشرة - مؤمنون بلا حدود - مايو ٢٠١٥م.
- ٣٠- طاهر، علاء: نهايات الفضاء الفلسفي والفلسفة الغربية بين اللحظة الآنية والمستقبل - مكتبة مدبولي - القاهرة - ٢٠٠٥م.
- ٣١- طرابيشي، جورج (إعداد): معجم الفلاسفة - دار الطليعة - ط١ - بيروت - ١٩٨٧م.
- ٣٢- الطويل، توفيق: الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - ط١ - القاهرة - ١٩٦٠م.
- ٣٣- عويضة، كامل محمد (إعداد): هنري برجسون - فيلسوف المذهب المادي - دار الكتب العلمية - بيروت - د.ت.

- ٣٤- غالب، مصطفى - هنري برجسون - دار الكتب العلمية - ط١ - بيروت ١٩٩٣م.
- ٣٥- فال، جان: الفلسفة الفرنسية من ديكرات إلى سارتر - ترجمة الأدب مارون خوري - منشورات عويدات - ط٢ - بيروت - ١٩٧٧م.
- ٣٦- فال، جان: طريق الفيلسوف - ترجمة أحمد حمدي محمود - مؤسسة سجل العرب - القاهرة - ١٩٦٧م.
- ٣٧- فوكو، ميشيل: استعمال الذات - ترجمة جورج أبي صالح - مركز الإنماء القومي - بيروت - ١٩٩١م.
- ٣٨- كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة - دار المعارف - مصر - ١٩٥٧م.
- ٣٩- كريسون، أندريه: برغسون - حياته - فلسفته - منتخبات - ترجمة نبيه صقر - منشورات عويدات - ط٣ - بيروت - ١٩٨٢م.
- ٤٠- لابين، والاس & جرين، بيرت: مفهوم الذات أسسه النظرية والتطبيقية - ترجمة فوزي بهلول - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - د.ت.
- ٤١- لافلين، روبرت ب: كون متميز - المركز القومي للترجمة - ط١ - القاهرة - ٢٠١٠م.
- ٤٢- ليلي، وليام: المدخل إلى علم الأخلاق - ترجمة علي عبدالمعطي - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - ١٩٨٥م.
- ٤٣- الموساوي: إسماعيل: الدين السكوني والدين الحركي عند هنري برجسون - مؤمنون بلا حدود - أكتوبر - ٢٠١٧م.
- ٤٤- مونييه، رينيه: البحث عن الحقيقة - وجوها - أشكالها - علاقتها بالحرية - ترجمة هاشم الحسيني - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٨٥م.
- ٤٥- ناصر، زاهي: الفلسفة وعلم النفس - العلاقات والإشكاليات - دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ط١ - بيروت - ١٩٩٩م.
- ٤٦- هوكنج، ستيفن: تاريخ موجز للزمان - من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء - ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ٢٠٠١م.
- ٤٧- وصفي، رؤوف (إعداد): الكون والثقوب السوداء - مراجعة للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ١٩٧٩م.
- ٤٨- وهبه، مراد: المذهب في فلسفة برجسون - دار المعارف - مصر - ١٩٦٠م.
- ٤٩- يعقوب، محمود: خلاصة الميتافيزياء - دار الكتاب الحديث - القاهرة - ٢٠٠٢م.
- ثانيًا: المصادر والمراجع الإنجليزية

- 1- Baker. A. E.: How to understand philosophy? From Socrates to Bergson - Hodder and Stoughton - London.

- 2- Bergson, Henri: Time and Free will (An Essay on the Immediate Data of Consciousness. Authorisd translation by. F.L. pogson – London – George Allen & unwin LTD.
- 3- Davis, Charles: Religion and the Making of Society – Essays in Social theology – Cambridge University. 1994.
- 4- Furrow, Dwight: Ethics- Key Cocepts in Philosophy – Dwight – Furrow – New York – 2005.
- 5- Hare, R.M: The Language of Morals – New York University press – 1964.
- 6- Horkheiner, Max: on Bergson's Metaphysics of Time- Radical Philosophy – archive.com (May – Jun 2005).
- 7- Kuznetsov. B.G.: Philosophy of Optimism – translated from the Russian by. Dkhakina, progress publishers – First printing. Moscow – 1977.
- 8- Phipps, Francis: Henri Bergson and the Perception of Time – Philosophy Now – Western University – Canada – 2004.
- 9- Reck, Andrew: The New American philosophers – Louisiona State University – press – 1968.

